20 me. année No 968

Le Caire 21—1— 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٦٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢١ يناير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

نار .. ودم

للاستاذ سيد قطب

الحمد لله الذى بدل قضية هذا الوادى من قضية محادثات ومفاوضات ذليلة مهينة .. إلى قضية نار ودم وكفاح أبى عزيز ..

الحمد لله الذى بدل هذه القضية من قضية معاهدة أو محالفة أو دفاع مشترك .. إلى قضية عداء صريح جاهر للاستعمار وقراصنة الاستعمار ..

الحمد لله الذى أخرج هذه القضية من أيدى نفر قليل من السياسيين والدبلوماسيين والمستوزرين والرأسماليين .. إلى أيدى الملايين من شعب الوادى ، أصحاب البلد الحقيقيين !

الحمد لله ، الذى سخر روبرتسون وارسكين وأكسهام ، لكى يحرقوا مراكبهم مع هذا الشعب ، ويركبوا رءوسهم على هذا النحو ، ويرتكبوا الحماقة التى أخرجتهم من أمريكا ، وأخرجتهم من الهند ، وستخرجهم بإذن الله قريبا من كل شبر من الأرض ، دنسته أقدام القراصنة النجسة ..

اليوم قد قضى الأمر ، وتأرثت الثارات والأحقاد بين هذا الشعب وبين القراصنة ، فاللهم لا سلم بعد اليوم مع هؤلاء السفاكين : ولا معاهدة بعد اليوم مع الفجار ، ولا تحالف بعد اليوم مع الأعداء .. ولا شئ إلا الكفاح الدامى ، وإلا الدماء والنار ، بيننا وبين الأوغاد

اليوم قد قضى الأمر ، وقطع الدم المهراق كل قنطرة وكل جسر ، يمكن أن تقام عليه صلة ما ، بين الوادى وجلاديه .. فاللهم لا هسة ولا نأمة بعد اليوم تتحدث عن الصداقة ، أو تتحدث عن التحالف . اللهم لا رجل ولا شبه رجل من أهل هذا الوادى يلوك شدقاه كلمة واحدة عن الجبهة الغربية ، إلا أن تكون كلمة من نار ودم ، وإلا أن تكون رصاصة موجهة إلى معسكر القرصان

إن الذى يلوك شدقاه بعد تلك المجازر الهمجية التى يقيمها الأوغاد لأهل البلاد .. الذى يلوك شدقاه كلمة واحدة عن أية صلة ، من أى نوع ، تربطنا بمعسكر الهمج الغربيين ، لهو رجل لا عرض له ، ورجل لا كرامة له ، ورجل لا نخوة له .. وحاشا أن يستمع هذا الشعب النبيل لمن لا أعراض لهم ولا نخوة ولا كرامة

لقد دارت عجلة الزمن — وإنها لتدور سريعة عنيفة فى هذه الأيام — دارت فطوت كل فرصة كانت متاحة لعباد الإنجليز أو لعباد الغرب على العموم .. لقد ذهبت إلى الأبد كل محاولة لربطنا بمعسكر الغرب المتبربر .. لقد انتهى كل شئ ، فلا مجال لغير الرصاص والدماء . لا مجال لغير الثأر المقدس ، لا مجال لغير الجهاد والكفاح

أما من شاء أن يرتد إلى عهود المفاوضة والمسالمة والمهادنة والمحالفة .. من شاء أن يرتد إلى تلك العهود التي طوتها عجلة الزمن السيارة . وفاتتها عجلة الحوادث التي لا تتوقف .. من شاء شيئا من هذا ، فليبحث له عن بلد غير هذا البلد ، وعن شعب غير هذا الشعب ، وعن وطن غير هذا الوطن .. فما عاد من هذا الوادي وأهله ، من يملك شدقاء الدوران ، ليتحدث عن شيء طواه الزمن وغشاه النسيان !

لا صداقة بعد اليوم للانجليز . فليسمع أصدقاء الانجليز .. ولا مهادنة بعد اليوم للاستعمار .. فليسمع من يربطون وجودهم بوجود الاستعمار .. مجرد الحديث عن الهدنة بيننا وبين الانجليز جريمة . مجرد التفكير في أن يضمنا ويضمهم معسكر واحد خيانة . مجرد المحاولة لإطفاء النار المؤججة بيننا وبينهم طعنة من الخلف للفدائيين والشهداء الأبرار

فليخرج الانجليز من بلادنا ، وليخرج معهم كل من لا تعجبه هذه الحالة . ليرحل عن هذا الوطن كل من يفكر في عقد صلة بيننا وبين الانجليز من جديد .. إن الشعب سيسقط اعتبار كل من يرفع رأسه ويحرك شدقه ليقول في هذا كلمة واحدة ... الشعب سيسحق هذه المخلوقات الشائهة الذليلة ، والتي لا يثير نخوتها عرض يهتك ، أو دم يهرق ، أو جريمة شنعاء ، مما يرتكبه القراصنة كل يوم في ضفة القنال .

ولا يحسبن أحد أنه أقوى من هذا الشعب ، ولا أكبر من هذا الشعب ، ولا أرفع من هذا الشعب ، ولا أعلى من هذا الشعب . ولا يحسبن أحد أنه من الدهاء بحيث يخدع هذا الشعب عن أهدافه الواضحة المرسومة ، ولا أنه من الحيلة بحيث يصرف هذا الشعب عن ثاراته المقدسة ، ولا من القوى بحيث يقف في وجه التيار .

إن الغرور وحده هو الذي يصور لفرد أو عشرات من الأفراد أو مئات .. أنهم قادرون على أن يحولوا الدماء ماء ، والنار بردا وسلاما ، وعلى أن يصلوا مرة أخرى بين الشعب وجلاديه ، وعلى أن ينسوا هذا الشعب دماء أبنائه الأطهار ، وقد كاد أن يكون في كل بيت ثأر ، وفي كل قلب جرح .. هيهات هيهات ! لقد فات الأوان !

لقد سخر الله روبرتسون ، وأرسكين ، وأكسهام .. ومن إليهم .. سخرهم ليحطموا ما بقي من بناء الإمبراطورية التي حطمتها الشيخوخة . . سخرهم ليوقدوا نار الأحقاد المقدسة في قلوب الشعوب حول ذلك الحطام الفاني . . سخرهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . ولن يقوم بناء سخر الله أهله ليهدموه . ولن يعمر بيت سلط الله سكانه ليخربوه

ولقد كان الخوف أن يتروى القراصنة في معسكراتهم على ضفة القنال ؛ وأن تهبط حرارة الشعب حين لا تجد لها وقودا يغذيها ؛ ولكن الله غالب على أمره . وها هي ذي الأحداث تجبرهم إجبارا على الخروج من صياصيهم المحصنة . وها هم أولاء يوسعون نطاق القرصنة ، ويوسعون دائرة الجريمة . ها هم أولاء يصلون إلى التل الكبير . وغدا يسوقهم الله بأقدامهم إلى المجزرة حين ينتشرون في أراضي الشرقية الواسعة ، ويقعون في فخاخ الفدائيين على مساحات واسعة .. فاللهم سقهم إلينا بأقدامهم . اللهم زدهم حماقة على حماقة ! اللهم هيء للفخاخ المنصوبة صيدا من أعدائك وأعداء الإنسانية ، وأعداء هذا الوادي .. !

* * *

وبعد فهنالك كلمة أخرى .. ومن كان له أذنان للسمع فليسمع .

لقد خاض الشعب معركة التحرير وحده حتى اليوم . خاضها بالدماء والأرواح . وإن زهرة أبنائه ليتساقطون في ميدان الشرف غير هيابين . . فما هو دور السادة يا ترى ؟ أجل ما هو دور السادة الذين يكدح هذا الشعب كله لهم ، وينفق عصارة قلبه ودمه ليخرج لهم من الأرض ذهبا وفضة !

إن الشعب لا يطلب من أولئك المترفين المترهلين السادرين في لذائذهم أن يؤدوا ضريبة الدم لهذا الوادي كما يؤديها الكادحون الذين لا يملكون في هذا الوادي شيئا ! إنه لا يطلب إليهم أن يضحوا بدمائهم الغالية ! ولا أن يموتوا كما يموت الشهداء !

كلا ! كلا ! إن الأمر لأهون من هذا بكثير . إن هذا الشعب الطيب القلب ، المتواضع القانع . . لا يطلب إلى السادة إلا ضريبة المال . لا يطلب إلا أن يساهموا بتزويد الفدائيين

بالسلاح والمال . لا يطلب إلا قسطا مما ينفق على موائد الخمر وسهرات الليل ، وما يراق على أقدام الغواني من ثراء !

وما يمكن أن يمضي الشعب في كفاحه ، وأن يريق في كل يوم دماءه وأرواحه ، وهؤلاء السادة سادرون فيما هم فيه !

إن لكل شيئا حدا . ومحال أن تسير الأمور على هذا النحو بلا نهاية . . فهي النصيحة الخالصة إذن نزجيها ، قبل فوات الأوان !

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

سيد قطب

يا مصـــــر ! ..

للأستاذ محمد البشير الابراهيمي

أصدرت البصائر الغراء لسان حال العلماء المسلمين الجزائريين عددا خاصا بمصر افتتحه الأستاذ الجليل رئيس تحريرها بهذا المقال

نسميك يامصر بما سماك الله به في كتابه، فكفاك فخرا أنه سماك بهـذا الاسم الخالد الذي تبدلت أوضاع الكون ولم يتبـدل ، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير ؛ وحسبك تيهـــا على أقطار الأرض أنه سماك ووصفها ، فقال في فلسطين: « الأرض المقدسة » و « القرى التي باركنا فيها » وقال في أرض سبأ : « بلدة طيبة » ولم يسم إلا الطور وهو جبل ، ومكة وهي مدينة ، ويثرب وهي قرية . فتيهي وافخري بهذه الملاءة التي كساكها الله ، وخذي منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام ، وبذمة رعاية لا تخفر ، وبجوار أمن لا يخزى جاره . .

* * *

نأسى لك — يا مصر — أن أنزلتك الأقدار بهـذه المنزلة التي جلبت لك البلاء ، وجرت عليك الشقاء ؛ وأن حبتك هذا الجمال الذي جذب إليك خطـاب السوء من الأقوياء الطامحين ، والقواد الفاتحين ؛ وأن أجرى فيك هـذا الوادي العذب الذي كان فتنة الخيال البشري ، فلم يقنع لمائه إلا بأن ينبطه من الجنة، وكان وثن القـدماء من ورائه فتقربوا إليه بالنـذور والقرابين ؛ وكان طغوى فرعون ذي الأوتاد ، فحرك فيه نزعة الألوهيـة ، فتوهم أن شـاطئيه الأخضرين هما نهـاية الـكون ، وأنه كفاء لملك الله الطويل العريض ؛ وأن وضعك من هـذا الـكوكب الأرضي في موضع الواسطة من القلادة ، فتملت بك الأبصار حتى « كأن عليك من حـدق نطاقا » ؛ وأن جملك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب ، فكنت — على الدهر — مجـال احتراب بين الشرق والغرب . فصبرا يا مصر ، فهـذا الذي تمانينه هو مغارم الجمال والشرف والسلطة

* * *

سموك « عروس الشرق » فكأنما أغروا بك الخطـاب ، وهجهجوا فيك لآسـاد الغلاب . وسموك « بمنارة الشرق » فلفتوا إليك الأعـين الخزر ، ولووا نحوك الأعناق الغلب ؛ ولو دعوك « لبؤة الشرق » لأثاروا — بهذا الاسم — في النفوس معاني وهيبة ، منها دق الأعناق وقصم الظهور وتزييل الأعضاء . وقديما سموا بغداد « دار السلام » فجنوا عليها وكأنما دلوا عليها المغيرين ؛ ولو سموها دار الحرب لأوحى الاسم وحده ما تنخلع منه قلوب الطامعين ، وتخنس له عزائمهم ، وتتكسر لتصوره الجيوش اللجبة . فغفرا — يامصر — فما هذه الأسماء إلا من هيام الشعراء

* * *

وما زلت — منذ كنت — مهوى أفئدة العظماء الفاتحين ، فأخذوك اقتســارا وصلحا ، وحازوك طوعا وكرها ، وما منهم إلا من مهرك المهر الغالي ، وساق إليك الثمين المدخر ، بما خلد فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من سمات قومـه ومعانيهم : حازك الاسكندر فخلد فيك الاسكندرية ، وملكك قمبيز فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها ، وحل فيك بطليموس فخلف فيك أثارة من حكمة يونان ؛ وداعبك قياصرة الرومان فخلفوا فيك أثرا من عظمـة الرومان ؛ وفتحك عمرو فهزك بيان العرب كله ، وهداية الإسلام كلها . ففخرا — يامصر — فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هي بقايا مهورك الغالية . وإن أغلاها قيمة — وحقك — وأثبتها أثرا ، وأبقاها بقاء ، وأشبهها

بشمائلك — لمهر عمرو ... فما زلت منذ تفيأت ظل الإسلام الظليل ، تجدين منه فى كل داجية نجما ، ووراء كل داجية فجرا . وما زلت كلما شكوت ضرا فى دينك يخف إليك من يكشفه ؛ وكلما شكوت شرا فى دنياك يخف إليك من يدفعه

خف إليك « جوهر » حين لحقتك علامة التأنيث ، وتقلب على فراشك العبيد . وخف إليك « صلاح الدين » حين امتهن فيك الدين ، وخف إليك «سليم» حين لعبت بك أهواء المماليك. وخف إليك « على » حين تحكم فيك الصعاليك : تأخروا بركبك عن زمانك ، فألحقك بزمنك ، وبالقوافل السائرة من بنى زمنك، وأرادلك أن يكون محلك من الغرب أماما ، وأن تكونى من الشرق أما وأمة وإماما ، فما عابوك ، ولكنهم هابوك ، فنصبوا لك فى كل حفرة عاثورا ، ووضعوا لك فى كل فج فخا ، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية فى بحر ، ولا سارية فى بر ، فمن بعض ذلك كل ما تعانين

لئن كانت أزماتك فى التاريخ كثيرة ، فكلها إلى انفراج عاجل . ومن المؤلم أن تطول بك المحنة فى هذه الدورة من أدوار الفلك ، وأن تبتلى بخصم اثيم الخصومة والكيد ، يمدهما زمنه بالقوة والأيد ، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا يجمعك به نسبة الشرق ، ولا يلتف منكما — إلى آدم — عرق بعرق ، فيجعل منك أداة لكيده ، وجارحة لصيده ، ومطية للصوصيته ، وطريقا لظالمه وظلامه ... فلو أن السالك ، تشترك فى الاجرام مع السالك — لكان لك شرك فى كل ما حمل الانجليز من أوزار ؛ ولحملك العدل كفلا من مآثمهم فى الشرقيين ... إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم . فليتك تماسرت بالأمس فى حفر هذه القناة ! أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بعناة ، فتوسعين هذه ردما ، كما أوسعوا تلك هدما ... حتى إذا ملكت أمرك حفرت ما يرويك ، لا مالا يرديك . وما فضل ماء استنبطته يداك ، لينتفع به عداك ؟ وما ذاد الأباة عن الحياض إلا لتكون لهم وردا

* * *

لا توحشنك غربة ... إن مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك ، حانية على مواردك ، هائمة بحبك ، تقطع الآنات فى التفكير فيك ، ولا تقطع الأنات من الامتعاض لك . وإن مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك ، متحركة بمدحك ، ناطقة بفضلك ، متغنية بمحاسنك . وإن هذا لرأس مال عظيم ، لم تظفر به قبلك يدان ...

أنت اليوم مثابة العروبة ، فى ثراك حيى بيانها ، وبسقت أفنانها ؛ وفى رياضك تفتحت أزهارها ، وغردت بلابلها . ففى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء ، وهذا أجل الوفاء

وأنت اليوم قبلة المسلمين ، يولون وجوههم إليك كلما حزبهم أمر ، أو حلت بهم معضلة ، وينفرون إلى معاهدك ، يمتارون العلم منها ، وإلى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها ، وإلى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة بين الدين والدنيا منهم . فلك — بذلك — على كل مسلم حق ، وهذا أوان الحاجة إليه

وأنت اليوم مأزر الإسلام ، فكلما سيم الهوان فى قطر ، أو رماه زنديق بنقيصة ، فزع إليك واستجارك ، يلتمس الغوث ، ويستمد الدفاع . فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم ، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك ، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل

وكيف بك — مع هذا — لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح ، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام ؟ — إذن لكنت قدوة فى إحياء سنته التى أماتتها البدع ، وفى إقامة أعلامه التى طمستها الجهالات ، وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب ، وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات ؛ وإذن لحييت وأحييت . ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من عهد الأدران ثم لم تفعلى ؛ وأنك قادرة على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى ثم لم تفعلى . ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل . ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام ، ولكنت — بهم — للعالم كله إماما أى إمام

وسبحان من قسم الحظوظ بين الجماعات فأعطى كل جماعة حظا لا تعدوه ، وفرق الخصائص على البقاع فخص كل بقعة بسر لا يعدوها ، فما زلنا نستجلى من صنع الله لك وللإسلام لطيفة سماوية ، وهى أنه كلما رثت جدة الإسلام ، وخالطته المحدثات ، سطع فى أفق من آفاقه نجم يهدى السارين إلى سوائه ، وارتفع صوت بالدعوة إلى أصول هدايته ، ثم لا يلبث ذلك النجم أن

يخبو ، وذلك الصوت أن يخفت ؟ إلا نجما سطع في أفقك، وصوتا ارتفع في أرجائك . وقد ارتفعت أصوات بالإصلاح الديني في أقطار الإسلام ، وفي حقب معروفة من تاريخه ، فضاعت بين ضجيج المبطلين ، وعجيج الضالين ، إلا صوت « محمد عبده » فانه اخترق الحدود وكسر السدود

عهدك التاريخ صخرة من معدن الحق ، تنكسر عليها أمواج الباطل ، فكوني أصلب مما كنت ، وأرسخ قواعد مما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت

أقدمت فصممي .. وبدأت فتممي ... وحذار من التراجع ، فان اسمه الصحيح «هزيمة» . وحذار من التردد، فانه سوس العزيمة

إنك فائزة هذه المرة بأقصى المطلوب، لأنك أردت فصممت، وانما يمين الله من مخلوقاته المصممين . وإذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأكبر الأعوان على نيله التصميم ، فصممي ثم صممي

إن قلبي يحدثني حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ؟ وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة في هذه المعركة ، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه ، وهو الإرادة يحدوها التصميم، يعدها الإيمان بالحق ، يربط ثلاثتها الاجماع على الحق

إنك فائزة في هذا اليوم بالأمنية التي عملت لها قرونا ، وإن فوزك فوز للعرب وللاسلام وللشرق . فيا ويح دعاة الوطنيات الضعيفة المحدودة ، إذا أقدم الأبطال نكصوا ، وإذا زاد الناس نقصوا . ويحهم ، إن المستعمر سارق ، وإن السارق الحاذق لا يسرق إلا في الظلمة أو في الغفلة ، فاذا انحسر الظلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والخسارة ، وإن مصر لفي فجر صادق ، وإنها لفي يقظة صاحية ، فأي موضع يسع السارق فيها ؟

صممي ، وأقدمي ؛ ولا يخدعنك وعد ، ولا يزعجنك وعيد ، ولا تلهينك المفاوضات والمخابرات ، فكلها تضييع للوقت ، وإطالة للذل . ولقد جربت ولدغت من حجر واحد مرارا

ان الخصوم — كما علمت — لئام ، فاقطعي عنهم الماء والطعام . وإن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع، فحركي في وجوههم تلك القوى الكامنة في بنيك يرتدعوا

صممي وقولي للمتعاقلين الذين يعذلونك على الإقدام : «وأضيع شيء ما تقول العواذل»

انثري كنانتك — يا كنانة الله — فإن لم تجدي فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعي . واحرصي على أن تجدي فيها السلاح الذي يفل الحديد وهو العزائم ، والمادة التي تطفئ النار وهي اتحاد الصفوف ، والمسن الذي يشحذ هذين وهو الثقة والصبر .

فلعمرك — يا مصر — إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار ، إلا ساعة من نهار ؛ ولكنهم قاتلوك في الزمن كله بالأستاذ الذي يفسد الفكر ، وبالكتاب الذي يزرع الشك ، وبالعلم الذي يمرض اليقين ، وبالصحيفة التي تنشر الرذيلة ، وبالقلم الذي يزين الفاحشة ، وبالبغي التي تخرب البيت ، وبالحشيش الذي يهدم الصحة ، وبالممثلة التي تمثل الفجور ، وبالراقصة التي تغري بالتخنث ، وبالهازل التي تقتل الجد والشهامة ، وبالخمر التي تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التي تفسد الرجولة ، وبالكماليات التي تثقل الحياة ، وبالعادات التي تناقض فطرة الله ، وبالمعاني الكافرة التي تطرد المعاني المؤمنة من القلوب . فإن شئت أن تذيبي هذه الأسلحة كلها في أيدي أصحابها فما أمرك إلا واحدة ، وهي أن تقولي : إني مسلمة ... ثم تصومي عن هذه المطاعم الخبيثة كلها ... إن القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصري عليهم ... وقابلي أسلحتهم كلها بسلاح واحد وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها ... فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا ... وماذا يصنع « المرابي » في بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ؟

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت في مفترق الطرق . ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكي أضل السبل

فرصة من فرص الدهر ، هيأها لك القدر للرجوع إلى هدى محمد ، ومحامد العرب ، وروحانية الشرق . فإن انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة

ويا مصر ، نحن وأنت سواء في طلب الحق ومطاردة غاصبه . ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة في ظلام دامس؛ ولكنك أصبحت ، فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن في قطع من الليل ، نرقب الفجر أن يتبلج نوره ، وما الفجر منا ببعيد

محمد البشير الابراهيمي

٢ - دعوة محمد

لتوماس كارليل
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الكعبة :

إنها أقدم المعبودات وأشرفهـا ، فقد ذكر المؤرخ الرومانى (سيسلانى) أنها كانت فى مدته أشرف المعابد فى العالم وأقدمها طرا ، وذلك كان قبل ميـلاد السيد المسيح بأكثر من خمسين عاما . وتتكون الـكعبة من البناء الذى رفع قواعده ابراهيم واسماعيل ليحج إليه الناس ذاكرين ربهم ، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمـاعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

والحجر الأسود الذى يعتقد بعض المؤرخين أنه ربما كان من رجوم السماء ، فإذا صح هذا الاعتقاد ، فلا بد أن يكون قد بصر به أحد وهو نازل من الجو . والبئر زمزم التى تنبع من بين الصخر . وأى منظر ، منظر المـاء ينبجس من بين الحجر الصخرى الأصم كأنه الحيـاة من الموت ! وقد اشتق لها اسمها (زمزم) من صوت تفجرها وهدير مياههـا . ويتفق أكثر المؤرخين على أنها قد تفجرت من تحت أقدام هاجر زوجة إبراهيم وابنها اسماعيل بعد أن أشرفا على الهـلاك ، فكانت لهم حيـاة وشفاء من الله

وقد عظم العرب الـكعبة وقدسوا البئر والحجر الأسود منذ آلاف السنين ، إذ كانوا يحجون إليها تقربا إلى الله وعبادة له . وكان من حج القبائل أن انشئت مدينة مكة وسط هضاب مقفرة وتلال من الرمال مجدبة وعلى مسافة من البحر بعيدة ، إذ كان كثير من الحجـاج يطلبون المأوى فلا يجدونه ، فأنشأوا هذه المدينة ليأووا إليها زمن الحج ، فكانت تلتقى فيها التجارة من أول يوم يلتقى فيه الحجاج . وعلى مر الأيام وجد جماعة من العرب أنفسهم مجتمعين لأغراض كثيرة تتركز كلهـا حول الـكعبة ، فأنشأوا لهم مساكن حولها وأقاموا متيمنين ببركتها محتمين بحرمتها ، ومن هـذا الوقت أصبحت مكة أهم أسواق البلاد العربية بأجمعها والمركز التجارى المهم بين الشـام ومصر وبين الهند ، بل بين الشرق والغرب . ولأهميتها فى ذلك الوقت بلغ عدد سكانها فى بعض الأحيـان أكثر من مائة ألف ، بين تجار ومشترين وموردين للبضائع وسكان أصليين . وكان يتولى أمرها جمهورية ارستقراطية عليها سمة (دينية) فقد كان سكانها يختارون لها جماعة من عشرة رجال ، من إحدى القبائل ليكونوا حكامها وحراسا للـكعبة وسدنتها ، وكانت هذه لاشك طريقة غير سليمة . وقد انتهى هـذا الأمر فى أواخر الأيام السـابقة لظهور النبى إلى قبيلة قريش التى منها أسرة محمد إذ أنها كانت هى التى تسكن مكة . أما بقية القبـائل الأخرى ، فكانت متفرقة فى أنحاء الصحراء تفصلها الواحدة عن الأخرى مسافات بعيدة من البيد والقفار ، وكانت كل قبيلة تختار لها أميرا وربما كان هذا الأمير راعيا ، بل وكثيرا ما يكون لا عمل له إلا قطع الطريق والإغارة على القبائل الأخرى المجاورة . وكثيرا ما كانت الحرب تستمر سجالا بين القبائل عدة سنوات ، ولـكنهم على رغم تباعدهم وشتات شملهم ومابينهم من عداوة وبغضاء ، كانوا يلتقون حول الـكعبة فيجتمعون رغم اختلاف عقائدهم ، على مذهب واحد ، وهو تقديس الـكعبة وتعظيمها . على أنه كان هنـاك شئ يجب علينا ألا ننساه وهو أنه كان بين العرب رابطة قوية ، ألا وهى رابطة الدم واللغة التى تفوق كل الروابط والتى توحد الشـاعر وتسهل التفاهم وتشعر بالتقارب

* * *

على هـذا المنوال عاش العرب قرونا عديدة خاملى الشأن لا أثر لهم فى الحيـــاة ولا ذكر لهم فى العالم ؛ فقد وصل بهم الاضمحلال والسقوط ، أن كان يستخدمهم الفرس والرومان فى محاربة بعضهم البعض فى الدفاع عن مصالح تلك الأمم . غير أنه فى أواخر أيامهم حدثت بينهم دواعى اختلاط ، أخذت تربطهم وتقرب بينهم ، ثم أخذت تتسرب إليهم أنباء عن أكبر حادثة

وقمت فى ذلك الوقت على وجه البسيطة — وأقصد بها حياة المسيح ودعوته — فأحدثت هذه الدعوة تأثيراً ملموساً فى الأمة العربية وجمعت بين كثير من قبائلها ، وكأنما أراد الله أن يكون هذا العمل إرهاصاً للدعوة الكبرى واليوم المشهود الذى ينتظره هؤلاء العرب ليعلو ذكرهم ويرتفع فى الآفاق شأنهم

* * *

ما أعجب أمر الكعبة وأعظم شأنها ! فهى التى جمعت بين شتات العرب ووحدت بين مشاربهم ، وكما هى فى هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة الشريفة التى يرسلها لها السلطان كل عام والتى توقد فيها المصابيح فى ليلة الهجرة لتشرف تحت النجوم المشرقة، هى أجل أثر من آثار الماضى وخير ميراث من الغابر

هذه هى الكعبة التى يولى شطرها ملايين عديدة من المسلمين وجوههم من أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب من دلهى إلى مراكش ، كل يوم خمس مرات . تهفو إليها قلوبهم وتشخص أبصارهم . إنها والله لمن أجل مراكز المعمورة وأشرف أركانها

الإسلام :

ما هو الإسلام ؟ . كثيرون هم الذين لا يعرفون ما هو الإسلام ، أو يتساءلون مستهزئين هذا السؤال . أما الأولون فهم معذورون وأما الآخرون فهم حاقدون . ولهؤلاء وأولئك أقول

الإسلام هو أن نذعن لأمر الله ونسلم الأمر له ونتوكل عليه ، ونعلم أن القوة كل القوة هي فى الخضوع لحكمه والاستنامة لحكمته والرضا بما قسمه لنا فى الدنيا والآخرة . ومهما يصيبنا من شئ ، فلنعلم أنه من الله ويجب علينا أن نتقبله بنفس راضية ووجه باش ونعلم أنه الخير ولولا ذلك لما اختاره الله لنا . (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقد قال شاعر ألمانيا « جوته » عندما عرف أن هذا هو الإسلام : « إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعاليمه فكلنا إذن مسلمون » نعم هذا قول حق لأن كل من كان شريفاً

فاضلا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم . وقد قيل : « إن منتهى العقل والحكمة ليس فى مجرد الاذعان للضرورة ، لأن الضرورة تحمل المرء يخضع لها رغم أنفه ، فلا يكون له فضل فيما يأتيه ، وكيف يكون للانسان فضل فيما يفعله مكرهاً ! ولكن منتهى العقل وعين الحكمة هى اليقين بأن ما ينزل بالإنسان من حوادث الزمن هى الخير له ، وأن لله فى ذلك حكمة تلطف عن أفهامنا نحن البشر وتدق عن عقولنا ، وأنه من الخطل والسخف أن يعتقد الإنسان فى نفسه القوة ويجعل من عقله الضئيل ميزاناً للعالم وما يجرى فيه من أعمال ، فيضع الأشياء فى غير مواضعها الحقيقية ، بل يجب عليه أن يعتقد أن للكون قانوناً عادلا وإن غاب عن إدراكه وعجز عن فهمه ، وأن الخير هو أساس الكون، والنفع هو روح الوجود، والصلاح لباب الحياة، عليه أن يعرف هذا ويعتقده ويتبعه فى سكون وتقوى حتى لا يضل الطريق إلى الله . وهذا هو الإسلام

* * *

إن الإنسان يكون مصيباً وظافراً ، سائراً على الطريق الأقوم والخطة المثلى والمذهب الأشرف الأطهر ، مادام معتصماً بحبل الله متمسكاً بقانون الطبيعة الأكبر ، غير مبال بالقوانين الوضعية السطحية والظاهرات الوقتية . إن المؤمن هو الذى يتبع القانون الجوهرى الكبير ، ذلك القانون السماوى الذى يعتبر قطب الرحى ومحور النظام فى الكون

وأول وسيلة يجب على من يريد أن يسير على نهج القانون الأعظم إتباعها ، الاعتقاد بوجوده وبأنه أصلح القوانين للحياة ولا قانون غيره يصلح لتنظيم الكون وقيادة العالم إلى الأمن والسلام مما يضعه البشر لأنهم قاصرون عاجزون . هذا هو جوهر الإسلام وروحه . وهو أيضاً كان روح النصرانية من قبل ، يوم أن كان أهلها يعتقدون هذا الاعتقاد

الإسلام والنصرانية دينان سماويان. ويجب علينا أن نفهم أن الأديان السماوية تأمرنا بالتوكل على الله قبل كل شئ وأن نعظمه بقدر عظمة الكون الذى خلقه ، وتبعاً لذلك يجب أن نزجر النفس عن الشهوات وننهى القلب عن الهوى والزيغ ، وأن نتعود الصبر على الأذى والأسى وأن نرضى بما قسم الله لنا وكل

ما يأتينا به الله إن هو إلا يد بيضاء من الله علينا ونعمة غراء من نعمه على الكون التى يجب أن نحمدها ونخر لله ساجدين شكرا ، نحمده على كل حال ولو كان ضررا يلحق بنا فقد يكون فيه شفاء لنفوسنا وتطهير لقلوبنا مما بهـا من الشوائب والأدران (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

علينا أن نعرف موقنين أن عقولنا قاصرة عن معرفة شئ من أسرار هذا الكون الواسع ، وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، وما أحرانا أن نقول دائما : « إننا بقسمة الله راضون ولو كان ما قسم لنا المنون »

* * *

لو تأملنا سرعة انتشار الإسلام ودخوله إلى القلوب وشده امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء فى العروق ، وتجردنا من عصبيتنا البغيضة ، لتحققنا من أنه خير من النصرانية وأفضل تلك التى كانت منتشرة وقت ظهور الإسلام فى كثير من بلاد العالم كالشام واليونان وغيرها ، تلك النصرانية التى كانت تصدع الرأس ويحول بطلانهـا بين القلوب وبين الحياة الصحيحة ، فقد كانت قلوب معتنقيهـا قفرا يبابا من المعانى السامية والروحية القوية التى يمتاز بها الإسلام . لقد كان فى النصرانية عنصر من الحق ، غير أنه كان ضئيلا جدا وهذا هو السبب الذى جعل الناس يؤمنون بها ، لأن الناس مهما كانوا فهم يريدون الحق ويسمون إليه ، ولكن ما إن وجد الإسلام حتى أصبحت النصرانية على حالها هـذا كالدعى بجانب الأصيل

فقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق الجدال ، يخطئ كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين المصطنعة الباطلة . فكانوا بهـذا يطعنون دينهم بأنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون حبـا فى شهوة النصر كمن يقال فيهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) جاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل الكاذبة والعبادات الضالة فسحقها ، وحق له أن يسحقها لأنها باطل وهو حقيقة خارجة من قلب الطبيعة الصادقة . إن الإسلام ما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود واحترقت جدليات النصرانية وذهب كل ما لم يكن حقا ، وصار حطبا التهمته نار الإسلام فحولته رمادا ذهب والنار لم تذهب على مر العصور

* * *

نظر محمد ببصره النافذ إلى ما وراء معبودات العرب الكاذبة ومذاهبهم التى لا تقوم على أساس صحيح ، ونظر إلى اليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم وإلى النصرانية وجدلياتها . نظر إلى هـذا وغيره بعينه الثاقبة وقلبه البصير الصادق وفكره المتوقد إلى جوهر الأمر وصميمه ، فقال فى نفسه : ما هـذه الأصنام التى تصقل بالزيت وتدهن فيقع عليها الذباب فلا تستطيع رده ، إنها خشب مسندة لا تضر ولا تنفع ، إنهـا باطل ومنكر فظيع وإغراق فى الكفر بالله خالق الكون ومسيره ، ولكن الحق هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الذى خلقنا وهو الذى يحيينا ويميتنا ثم يحيينا ، ويطعمنا ويسقينا ، وهو أرأف بنا منا إنه هو الرءوف الرحيم ، الذى خلق لنـا ما فى الأرض جميعا لننتفع به ونشهد على أنه هو الواحد القادر الذى يجب أن يعبد ، لا إله غيره

لقد آمن العرب بالإسلام ودخلوا فيـه أفواجا راغبين غير مكرهين ، وإن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم وعضوا عليه بنواجذهم لجدير بأن يكون حقا وأن يصدق به لأنه حق لا مراء فيه

لقد اشتمل الإسلام على مبادئ عظيمة وقواعد جليلة ، وإن الشئ الوحيد الذى يجب على الإنسان أن يلحظه فى الإسلام ، هو اشتماله على روح الأديان جميعا ، هـذه الروح التى تلبس أثوابا مختلفة وتتشكل بأشكال متعددة ، ولكنها فى الحقيقة شئ واحد

وباتباع قواعد الإسلام والتمسك بروحه يصبح الإنسان إماما كبيرا لهذا المعبد الأكبر (الكون)

على الإنسان إذا أراد الهداية ، أن يسير على قواعد الخالق تابعا لقوانينه لا يحاول أن يقاومها أو يدافعها أو يعبث بهـا لأنه سيبوء بالفشل لا محالة لأن الله هو الذى يحفظها « إنا نحن

فدوي طوقان

شاعرة الوجد والحنين

للسيدة وداد سكاكيني

عنـد كلامى على شاعراتنا المعاصرات تطوف بالخواطر ترانيم شاعرة الإغريق سافو التى أنبتتها لسبوس بلدة الفن والأدب . ولقد كانت حياتها وآثارها نغما شرودا ولحنا غريبا . ويقتحم الفكر بعدها اسم الخنساء الذى شاع فى دنيا العرب قديما ، فقد ظهرت هذه النابغة الكريمة شاعرة عز مثالها فى الرجال . ولما فجعها الموت فى أخيها صخر، وكان يبرها ويؤثرها بحنانه وإحسانه سكبت دمعها رثاء له وحزنا عليه حتى تركت ديوانها مثـل عين فياضة بالدموع

ولست أدرى حين أقرأ الشاعرة المعاصرة فدوى طوقان كيف آخذ لهـا الوصف من هاتين الشاعرتين المختلفتين طبيعة ومزاجا ، ففى شعرها من الأولى ألحان وتنافيم، ومن الثانية صور اللوعة والفجيعة ، فأعجب لتشابه النصيب والمصيبة

لقد فجر الحزن قريحة الخنساء وحسها فبكت أخاها بشعر يموج فيه النوح والعويل ، وطال وجدها وأساها ، فهى تبكى أخاها وترثيه لطلوع الشمس وغروبها . وكأنما تحرق شعورها واستبدت بها الحرقة فراحت تنفس عنها هذه المراثى النداية التى طبعت شعرها بطابع عرفت به ودل عليها

أما فدوى طوقان الفتاة الحضرية الأصيلة التى تثقفت فى بيت عريق المجد والجاه فى مدينة نابلس بفلسطين حيث يشرف جبل النار على هذا الحمى المنكوب فقد تعهد أدبها وثقافتها أخوها «إبراهيم» ، وإبراهيم كان حلما من أحلام عبقر، وعلما من أعلام الشباب الوطنى رف طيفه وطاف شعره منذ عشرين عاما فى آفاق الشام والعراق ، وكان بشرى التجديد والإبداع فى الشعر العربى المعاصر ، ولـكن سرعان ما غيب الموت هـذا الشاعر فأسفت أشد الأسف شقيقته فدوى ، وكانت قد أوتيت مثل أخيها موهبة

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولم أجد قط تعريفا للواجب خيرا من هذا

ولا يكون الإنسان مصيبا إلا إذا سار على منهاج الإسلام ، وهو الدين القويم ، لأن الفلاح فى اتباعه (إذا كان منهاج الدنيا طريق الفلاح)

* * *

إن من فضائل الإسلام التضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ، وهذا لا شك أعظم وأشرف ما نزل من السماء على بنى البشر فى الأرض . إن الإسلام نور الله قد ظهر فى روح محمد ذلك الرجل العظيم ، فأنار الدنيا وبدد ظلماتها ، تلك الظلمات التى كانت تنذر بالهلاك والخسران المبين

وقد جاء به من عنـد الله ملك عظيم سماه (محمد) وحيا ، وقد صدق إذ سماه هذا الإسم ، فمن منا يستطيع أن يسميه اسما آخر ، ألم يجئ فى الإنجيـل (أن وحى الله يهبنا الفهم والإدراك) ولا شك أن العلم ببواطن الأمور والنفاذ إلى جوهر الأشياء لسر غامض وأمر خطير لا يكاد المنطقيون يلمسون منه إلا قشوره ، وقد قال نوفاليس : أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله به . »

إن شعور النبى محمد الذى ضاءت روحه بنور الحقيقة الساطعة ، بأن هذه الحقيقة أهم ما يجب على الناس أن يعلموه ويؤمنوا به ، لم يكن إلا أمرا بديهيا . وما دام الله تعالى قد اختصه بها وكشفها له ونجاه من الضلال والتردى فى الباطل فهو مضطر إلى نشرها بين الناس وإظهارها للعالم أجمع ، وهذا كله معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الحق الجلى والصدق المبين وهو روح الإسلام وجوهره

فهل بعـد هذا يستطيع المكابرون أن ينكروا فضله ويجحدون مزاياه ثم يقولون ما هو الإسلام

عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر فراحت تبكيه وترثيه بقصيد أعاد إلى الخواطر ذكرى الخنساء. وما أكثر ماقالت فدوى في وجدها ولوعتها وكأنما كان فيه عندليب يبكي عندليبا، فمنه قولها :

واشقيقاه ما أجل مصابي ... كيف أودى الردى بزين الشباب
واشقيقاه مات في عمر الورد ... غضير الصبي نضير الإهاب
أين مني أخي ؟ فلي الله ما خلاه ... عني ما عاقه عن جوابي
حر قلبي « لجعفر وغريب » (١) ... وهما يرقبان يوم الإياب
كلما استشمرا إليك حنينا ... هاج في الصدور من طويل الغياب
هتفا باسمك الحبيب وباتا ... رهن هم ووحشة واغتراب

ويدعو الشاعرة فقد أخيها إلى أن تسأل القـدر عما وراء الغيب وعن عالم صار إليـه أخوها . وقد سأل قبلها الشعراء عن هذا المصير فما أجابهم إلا صدى يرن في ظلمات العدم فتقول :

ليت شعري ما عالم صرت فيه ... عن عيون الأحياء خلف حجاب
أهو شط الأمان للنفس بعد الخوض ... في مزبدات طاغي العباب

ويمر عام تزداد فيـه هواجس الشاعرة وتستبد بها شجونها فتقول :

لا كان عام ظللت يا سكني ... فيه وراء الحياة والزمن
مستوحشا في الضريح منفردا ... مرتهنا بالتراب والكفن
لو أنني قمت بالوفاء أخي ... ما ظل روحي يجول في بدني

لقد بكر الحزن على فدوى وطغى ، فقالت فيه أكثر شعرها قبل أن يكون منها شعر من ضرب آخر ، بل كان هذا الحزن مثيرا لآلامها وهمومها التي لونت حسها وخيالها بتلاوين الوحشة والكآبة وجعلتها تقول الشعر تعبيرا عن نفسها وتصويرا لهواجسها ، فكانت مراثيها شجوا ودمعا ، ثم ظهرت قصيدتها « خريف ومساء » مواجهة بالحيرة والزهادة

ويمسح الزمن بعد حين بيده السحرية على وجوم فدوى ووجدها وتتصدى لها رسالة الشعر فتناغيها وتناجيها ، وتهدهد مواجعها بالرجاء والعزاء ، وتستجيب لهـا الشاعرة فتحاول الخروج من هيكلها القاتم الذي طال وقوفها فيه بين الحسرات والزفرات

كان صنع الشاعرة الطوقانية وهي تنفلت من شجوها كصنع الناسك القديس الذي يترك محرابه للتطواف في حديقة أو رحبة ناسيا ركعاته الطوال أمام المذبح ، أو كما فعل الناسك الذي صوره أندريه جيد في السمفونية الرعائية . والشاعرة السادرة في تفلتها حينا بعد حين من حزنها تتخفف من السواد الذي كان عالقا بألفاظها ومعانيها ، فتؤثر التأمل وتلتمس الفلسفة في الشعر الذي سارت به على غرار الأوائل. وكنت أعنى لو انفردت فدوى بلمسات خاصة كالتي ظهرت في شعرها الأخير حين رمت بطرفها على شاطئ الوجود

أما أنوثة الشاعرة فأمر لا ينبغي أن يغيب في دراسة الأدب المعاصر ، وفي هذه المرحلة من التحليل النفسي الحديث ، الذي يتناوله نقاد الأدب في الغرب على نحو من التصريح لا التلميح ، ولم يتهيب الكلام نقادنا القدامى حين حللوا شعر النساء وأولوا لفظه ومعناه . فكأي من شاعرة أو مغنية في العصرين العباسي والأندلسي كانت تعرب عن شكواها وجواها ولا ترى حرجا في أن تتدله أو تتغزل . ولا أدري ما يحول بين ناقد الأدب المعاصر وبين تحليله شعر المرأة والمضي وراء مراميها إلى حيث ترف أجنحتها الشعرية في آفاقها البعيدة ؟

على أن السائد من تقاليدنا ما يزال يجعلنا متحفظين متحرزين في التعبير عن حقيقة إحساسنا ومنازعنا ، فلا الشاعرة ولا الأديبة تستطيع مع هـذا التحرج أن تصور هواجسها وخلجات قلبها ، ولا الناقد يستطيع النفوذ إلى ماوراء الكلام ، ولهذا فإني حين نظرت إلى طائفة من شعر فدوى قالت أكثره في التعبير العاطفي والشوق المقيد والقلق المستبد عزوته إلى هـذا التحفظ النسوي. غير أن فدوى إذا قيست بشاعراتنا المعاصرات كانت أصدقهن تمثيلا للعاطفة الصحيحة والشعور الذي يخامر الأنثى . وليس معنى هذا أن شعرها مقصور على الوجد والحنين فإن لها تأملات روحية وصورا حسية منوعة دلت على تتبعها وتمعنها في فهم الكون والحياة والمضي مع تيارات الفكر الحديث . والشعر عنـد فدوى فن يرفده حس مرهف وقريحة متفتقة لم تقنع من الفطرة بالوحي والإلهام . وقارئ قصيدتها أية كانت يشعر أن وراء هـذا الشعر من تقوله وقد ملكت

(١) هما ولدا الشاعر ابراهيم طوقان

مواهبه وأسبابه

ولعل الشاعرة الطوقانية قد تأثرت بتعاليم المعرى والخيام، فتوقانها إلى الانعتاق من الحياة ولا سيما انطلاق الروح من الجسم فكرة علائية أكثر المعرى من ذكرها فى لزومياته، وحنينها إلى الينبوع الإلهى نزعة صوفية. أما أملها فى أن تنبت من تربتها زيتونة مثمرة فهذه لمة خيامية تلوح فى قولها:

يا رب إما حان حين الردى … وانعتقت روحى من هيكلى
وأعنقت نحوك مشتاقة … تهفو إلى ينبوعها الأول
وبات هذا الجسم رهن الثرى … لقى على أيدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى … زيتونة ملهمة شاعره
حتى إذا يا خالقى أضمت عناصرى أعصابها والجذور
انتفضت تهتز أوراقها … من وقدة الحس ووهج الشعور

ويطغى على فدوى حس مبهم مجنح يساور مثله الشعراء الذين ينطلقون وراء المثل العليا أو يلوبون على حقائق يتوهمونهـــا وينشدونها، إنهم فى عالمهم الخاص يبدعون شخوصا وأشياء ثم يضفون عليها من ألوان الوجود، فاذا هم يناجون ويهتفون وليس بين أيديهم إلا هذه المثل المائعة المدومة فى آفاقها البعيدة. وهذا سر تفوقهم فى متع الخيال وتهاويل الباطن! والشاعرة الطوقانية لم تنحرف عن سنة هؤلاء؛ ففى شعرها الذى قالته بعد الرثاء لمحات ظمأ وحنين، ونفحات فن وإحساس عنيف، فيها حل لها على الانفلات من قيود عزلتها ووحشتها، وقد عبرت عنها بالشوق إلى المجهول.

ولا يحسبن بعض الملمين بشعر فدوى أن هذا المجهول الذى تمشى وراءه متلهفة حيرى هو المحبوب أو الزوج أو الولد، إن هذا لمن أتفه ما يصبو إليه الشعر. وإنما تنفذ الشاعرة تأملاتهـــا وشطحات شوقها وراء الغيوب، فى السديم المثالى لعالم الشعر الذى لا يفنى. وقد أحس هـــذا الاحساس كثير من الشعراء والشاعرات وكانوا متزوجين ولهم أولاد وحفدة، وما نسينا تحليق شيخ الشعراء بفرنسا «فيكتور هوغو» حين نشر جناحيه فى سموات هذا المجهول الشارد بأكثر قصائده التى وضعها بديوانه المسمى «كيف يصير المرء جدا» ومرد ذلك عندى إلى الألم العميق، فإن هوغو فقد بنته وزوجها غرقاً فبقى محزونا عليهما، وقال ذلك الشعر الذى يهفو إلى المجهول بسائق من هذا الأسى المقيم. وكذلك أرد شعر فدوى فى هذا الصدد، فلولا موت أخيها الذى ضمضمها، وهذه المواجس التى ألمت بنفسها لما سمت روحها نحو هذه المثل البعيدة.

وإذا كان لقولى هذا ختام على إيجاز فى الشاعرة الطوقانية فأجل ما ينبغى أن يكون الكلام فيه على شعرها الوطنى. وهل ذهب ذاهب إلى أن فدوى التى هزها الأسى على أخيها إبراهيم لم تكن ذات شعر وطنى؟ هيهات هيهات! فان جبل النار الذى يغلى حمية وحربة هو الذى تحدرت من قممه فدوى، وطبعها على هذا الشعر الذى رددته وكأنه أغاريد بطولة وجرس سلاح.

إن لفدوى طوقان فى فلسطين المنكوبة المغصوبة شعرا لم يقل مثله الرجال. وسيظهر هذا الشعر فى ديوانها ملتهباً بالدم مشبوبا بالشمم، فمن قولها فيه:

ياهذه الأقدار لا ترحمى … فرائس الضعف بقايا الرمم
ستنجلى الغمرة يا موطنى … ويمسح الفجر غواشى الظلم
لن يقعد الأحرار عن ثأرهم … وفى دم الأحرار تغلى النقم

وإذا كانت تلوح اليوم فى الآفاق العربيـــة بشائر الشعر النسوى الحديث كما كانت تلوح فى هبات التألق الأدبى الذى كان فى العصرين الأموى والعباسى، وفى الاندلس، فان طائفا من الالهام الإلهى والفن المطبوع قد تخير فدوى طوقان لتحمل رسالة هذا الشعر فى جيلنا المعاصر، يمكنها من ذلك تضلعها من الفصحى وتمرسها بالبيان. وأنها لتجود بالشعر من نفسها وحسها غير منسحبة على التكلف والتقليد، ولامرددة لشعر مصنوع تفوح منه الترجمة والاقتباس، وإن لها لأمداً بعيداً هى منطلقة نحوه وقد انشق أمامها الطريق.

القاهرة

وداد سكاكينى

مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنبارى

مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت فى القرن الخامس عشر ، وقد لاقت نجاحا منقطع النظير ، ولا زالت تلاقى إقبالا عند تمثيلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء فى معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحيه محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذى يوجه ذكاءه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والعرض الذى أقدمه للمسرحية هو عن اللغة الإنجليزية

نحن الآن فى الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آنسه إنسان مغرور يظهر على سيماء الخبث والمخادعة ، وهو كسول فى نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزعجت حالته هـذه زوجته « جيميت » — ولعلها أخبث منه — فآلمها ما يبدو من زوجها من التراخى والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول العيد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ فى انتهاره وإيذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريعاً قائلة : ما الفائدة فى أن يكون محاميا عظيما كما يدعى ، بينما هو يعجز عن تدبير المال الكافى لشراء ملابس العيد ؟ وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه — محاميا عظيما — قد مست فيه الوتر الحساس من نفسه المغرورة . فهتف بها أنه نعم لا زال ذلك القانونى والمحامى ذو الاسم اللامع فى عالم القضاء ، وسيريها الى أى حد سيوفق فى يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشدة فيلبس ملابسه ويخرج . الى أين ؟ لا يدرى . وأخذ يقدح فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين السبيل الى ذلك ؟ أين يجد ذلك المخلوق الأبله الذى يرضى أن يوكله فى قضيتـه ، وهو ذلك المحامى الذى عرف بالخسة وضعة النفس فضلا من أنه محام فاشل .

وما زال بأفـكاره هذه حتى بلغ السوق . وانتهى بتفكيره الى أن رغبة زوجته تنحصر فى الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محاميا عظيما أو فاشلا ، كما لا يهمهما مطلقا المصدر الذى يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هينـة الى حد بعيـد . هداه تفكيره الى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل الى حانوت بائع للاقمشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هـذا فقد عرف عنـه أنه رجل حريص شـديد البخل . فاقترب منـه بتلان وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ملؤها الثقة بخبثه ، فسلم على جيوم وحياه وأخذ يصافحه بشـدة وإخلاص ، متظاهرا بأنه صـديق مخلص له عزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه المفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هـذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبعد جيوم قليـلا من حذره الذى عوده إياه بخلـه الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويدا لهذا الإخلاص العميق الذى يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفا هاشا باشا حتى يضطر جيوم الى دعوته إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والمزاج والأحوال ثم ينتقل الى الحديث عن العائلة وعن المرحوم الوالد العزيز الذى كان صديقا مخلصا له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيرا عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكدا كيف أنه — أى جيوم — يشـبه أباه فى حركاته وفى ملامحه وفى رقة أخلاقه أيضا . ومازال كـذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلا : ياله من قماش بديع وجميل! ولكنه فى هذا لا يظهر أنه جاد فى حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلا عن عائلة جيوم ويقول : إن زوجتى يسرها جدا أن تزورنا بل أن تتفضل بالغداء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيـه نفسية التاجر فيعود بالحديث عن القماش مطنباً ومادحا لهذا القماش الثمين فيؤيده بتلان فى ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فانه يقول إنه سيرى نفسـه مضطرا أن ينزل عن عشرين جنيها ثمنا لما سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التى ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفى هذه الأثناء يمد يده الى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجتذب الزبائن اجتـذابا ، وكيف يستولى على النقود فيسلبها من

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول يا للأسف لقد نسيت محفظة النقود فى البيت . ولكن هذا لا يهم وإن كان الخير فى ذلك ، لأن جيوم سيستلم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يساور جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتى هو بالقماش معه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ ومايزال به حتى يرضخ جيوم للأمر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

ونرى بتلان فى الفصل الثانى وقد عاد الى بيته متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقى فقد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمن القماش عند الغداء .

وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هى أبرع من زوجها وكأنهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهر بتلان بالمرض وتدعى هى أنه مريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدآن بتنفيذ الخطة فيخلع بتلان ملابسه ويستلقى على السرير . وعندها يطرق الباب فيعلمان أنه جيوم بائع الأقمشة والضيف الكريم ، فتذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهى تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدعها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قماشا وأنه مدعو للغداء ، فتصرخ فيه جيميت : أى قماش وأى غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان فى دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يمتنع عن هذا الهذيان وعن هذا الاتهام وليلزم الصمت لكى لا يقلق راحة المريض ، ثم يصلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألما . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم أن يتذكره ويتوسل اليه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتلان ويدخل مؤكدا صدق مطلبه وملحا أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتأوهات ، وعندها تعود جيميت إلى انتهاره واتهامه باقلاق راحة المريض ، فيخرج جيوم متوعدا أنه سيشكوهم الى القضاء .

وفى الفصل الثالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوعدا ، ويتفق أن يلاقى الراعى توما . أما توما هذا فانه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويعرف توما بالأبله ولكنه خبيث أيضا وماكر ، استغل أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بثمنها فشكاه جيوم الى القضاء ، ونرى توما الراعى قادما الى دار المحامى بتلان لكى يوكله عنه .

وهنا يظهر خبث المحامى بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعى توما أن يدعى أنه أخرس ولا يجيب على أسئلة القاضى إلا « ططط » أى مثل أصوات الغنم .

والمنظر الآن فى المحكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضى والتاجر جيوم. وعندها ينادى الحاجب الراعى توما فيتقدم هذا إلى القاضى فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (ططط) فيتملك جيوم الغيظ والغضب ويتنكر أن يكون توما الراعى أخرس . وعندها يطلب القاضى بمناداة وكيله ومحاميه فينادى الحاجب (المحامى بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متمارضا على الأصح . ولكنه يفاجأ بل يكاد يصعق عند ما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان، فيثور ويترك مسألة الغنم والراعى توما ويشكو بتلان إلى القاضى متهما إياه بالسرقة فيدهش القاضى ؛ ولكن جيوم يقول إن المحامى بتلان محتال ومخادع وماكر كان قد أخذ منه قماشا عند الصباح وعند ما جاء ليأخذ ثمنه فى البيت أنكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعى توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعى توما إلى القاضى وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؟ ثم ينتقل

إلى الكلام عن بتلان وما زال ينتقل من بتلان إلى توما ومن الأغنام إلى القماش حتى ضجر القاضي وطلب إليه السكوت

وهنا تظهر براعة المحامي بتلان ويظهر خبثه ومكره ويستند إلى حالة جيوم النفسية وما ظهر عليه من اضطراب ويتأسف بأن تسمع المحكمة الموقرة إلى مثل هذا المجنون الذي يخلط في كلامه ويتهم الناس الأشراف . فيحتد جيوم ويصرخ مطالبا بقماشه ومطالبا بأغنامه ويظهر اضطرابه في كلامه ، فينتهره القاضي ويطلب إليه بل يأمر بإخراجه من قاعة المحكمة فقد سقطت دعواه لسخافته

وهنا ينتصر المحامي بتلان وتبرئ المحكمة ساحة الراعي توما ويخرج الظافران . ثم يأخذ المحامي بتلان الراعي توما ناحية ويطلب إليه أن يسلمه ثمن أتعابه ، فيقهقه الراعي توما ويجيبه كما أجاب القاضي مقلدا صوت الأغنام « تتت » فيجن بتلان من الغيظ ويحتد مزمجرا ويطلب ثمن الأتعاب فلا يجاوبه الراعي الخبيث إلا بـ(تتت)

عبد الغني الأشباري
جامعة فؤاد الأول كلية الآداب

بمناسبة المولد النبوي :

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفني داود الجرجاوي

كان للقرآن في صدر الإسلام معجزته الكبرى حين نشأت علوم اللغة والأدب لتفسر وجوه إعجازه وتوضح بلاغة آياته وسوره . وبسبب هذه الأجواء العلمية — التي حاكها حولها ونسج خيوطها بين يديه في بلاغته الساخرة وآياته الباهرة — كان الغاية الكبرى التي تنتهي إليها هذه العلوم وتدرس من أجلها هذه الفنون ؛ وقد كانت الوسائل القوية والوشائج المتينة التي تصل بالدارس إلى معاني القرآن وفهم أسراره وكشف مقاصده ، فاللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم الأدب — مضافا إليها علوم الشريعة وعلوم الحقيقة — وجدت من هذه الغاية الكبرى مبدأ لتكوينها وسببا قويا لنشأتها ، كما أنها جميعا وجدت من تطور الدراسات القرآنية خطوطا أولية تمثل تطور حياتها وترسم طريق مستقبلها

ولم يكد القرآن ينتهي من أداء هذه الرسالة الإعجازية حتى تضافرت معه قوة جديدة تصور نفس الغاية هي (المدائح النبوية) فقد كان لهذه الأخيرة صداها منذ القرن الأول حين نظم كعب ابن زهير (٢٦ هـ) قصيدة « البردة » بين يدي الرسول الأعظم ، فكانت قصيدته أول قصيدة كلاسيكية تقليدية في مدح الرسول . ثم جاءت على إثرها قصائد الشعراء في القرون المتعاقبة

وفي القرن الثامن اشتقت المدائح النبوية طريقا خاصا بها حيث اصطبغت بالصناعة اللفظية وعنى واضعوها بوجوه المحسنات البديعية . ومن هنا حلت المدائح النبوية الرسالة العلمية التي حمل مثلها القرآن في علوم الأدب منذ سبعة قرون مضت . وبينما كانت « رسالة القرآن » رسالة عامة انتفعنا من ورائها في إحياء علوم الدين وعلوم الأدب كانت « رسالة المدائح النبوية » رسالة خاصة انتفعنا بها في تطور علوم البلاغة وفيما أحدثه الشعراء من ضروب البديع التي اصطنعوها في مدائحهم

* * *

في هذه الحقبة من القرن الثامن أخذ القوم يخرجون مدائحهم النبوية في قالب خاص من علوم البديع حتى سميت « البديعيات » . وكانت هذه البديعيات أشبه بكتب مفردة سجلت فيها فنون البديع وأنواعه ومصطلحاته ، وظلت هذه البديعيات دستور البديع وديوان فنونه وسجل مصطلحاته في سائر القرون التي تلت القرن الثامن حتى وصلت إلى عصرنا هذا

وأول بديعية وصل إليها تحقيقنا في القرن الثامن هي التي نظمها صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، شرحها صاحبها في كتاب خاص سماه « النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية » . قال ابن حجر العسقلاني : « ... وبديعيته مشهورة وكذا شرحها ، وذكر فيه أنه استمدها من مائة وأربعين

كتاباً » (١) وبدأ الحلى بديعيته مستهلها ما جاء ببردة « البوصيرى » من ذكر الأماكن الحجازية كذى سلم وسلع والعلم فقال :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم   واقرا السلام على عرب بذى سلم

وذلك تقليد قديم احتذاه الشعراء من قبل صفى الدين الحلى ثم أصبح نظاما تقليديا استنه الشعراء لأنفسهم من بعده . وفى هذا البيت يشير الشاعر إلى براعة المطلع والتجنيس المركب والمطلق . ثم ينتقل بك إلى تجنيس التلفيق فى البيت الثانى :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم   لهم ولم أستطع من ذاك منع دم

ويستمر صفى الدين فى هـذا النحو حتى ينتهى من بديعيته فى مائة وخمسة وأربعين بيتا ، يذكر فيها سائر فنون البديع التى عرفت فى زمنه : كالذيل واللاحق ، والتام والمطرف ، والمصحف والمحرف ، واللفظى والمقلوب ، والمعنوى ، والطباق ، والاستطراد ، والتوشيح ، والمقابلة ، واللف والنشر ، والتبديل ، والالتفات ، والهزل الذى يراد به الجد ، وعتاب المرء نفسه ، ورد العجز على الصدر . . . وهكذا يسير فى بديعيته المشهورة حتى يذكر لنا مائة وخمسة وأربعين فنا من فنون البديع ؛ فيخص كل بيت منها بفن من هذه الفنون . ويختم بديعيته ببراعة الختام فيقول فى البيت الأخير منها :

فان سعدت فمدحى فيك موجبه   وإن شقيت فذنبى موجب النقم (٢)

ومن ذلك نعلم أن المدائح النبوية خدمت علوم البلاغة فكانت حافزاً قوياً على نمائها وتطورها فوصلت إلى هذا العدد الذى ذكره الحلى فى بديعيته . وقد كانت للحلى مدرسة تبعه فيها تلاميذه فى تدبيج البديعيات كالصلاح الصفدى (٧٦٤ هـ) وابن جابر الأندلسى (٧٨٠ هـ) الذى وضع بديعيته فى مائة وسبعة وسبعين بيتا (٣) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) الذى وضع بديعية فى مائة وخمسة وثلاثين بيتا . (٤)

* * *

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ س ١٣
(٢) بديعية الحلى (انظر ١٢٨ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)
(٣) بديعية ابن جابر (انظر ٦٨٠ بلاغة)
(٤) لآلىء الترصيع فى علم البديع ص ٢٤٦

وفى القرن التاسع كان لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ من الشأن ما كان لسلفه الحلى فى القرن الثامن ، فكلاهما كان زعيم حلبة الشعراء الناهلين من بحور البديع ، وكلاهما كان ذا خطوة فى الأدب واطلاع واسع فى فنون البلاغة ؛ إلا أن ابن حجة كان كما يحدثنا : ابن العماد الحنبلى والأستاذ بروكلمان — مزريا بغيره من الشعراء ، ينظر إلى شعراء عصره كأحد تلامذته. (١) ولقد ولقد كان لديوانه « ثمرات وثمار الأوراق » شأن كبير . (٢) وتسمى بديعيته « بديعية ابن حجة الحموى أو تقديم أبى بكر » سار فيها على طريقة الحلى ، وتقع فى مائة وعشرين بيتا. ثم شرحها فى كتاب آخر سماه « خزانة الأدب وغاية الأدب » .

ونحا هـذا النحو شرف الدين ابن المقرى (٨٣٧هـ) الذى وضع بديعية أخرى تقع فى مائة واثنين وأربعين بيتاً ، شرحها فى كتاب سماه « شرح الفريدة الجامعة للمعانى الرائعة » (٣)

* * *

ثم كان من نتيجة دراسة المدائح الدينية فى هذه الصورة التى لمسناها خلال القرنين الثامن والتاسع أن تعمق القوم فى دراسة البديع دراسة تحليلية خاصة . وبذلك كانت دراسة البديع فى القرن العاشر خطوة واسعة تمثل تطور البديعيات فى ذلك القرن. فظهرت « الطريقة التحليلية » فى دراستها فى شخصية عظيمة عرفت بالأبحاث الخاصة والمؤلفات المفردة بالفنون المختلفة — هى شخصية جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

وقد بدأ السيوطى بديعيته على عادة الشعراء ببراعة الاستهلال فقال :

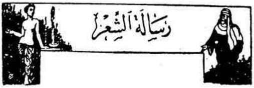
من العقيق ومن تذكار ذى سلم   براعة العين فى استهلالها بدم (٤)

واختتمها بقوله :

واكتب مدا الدهر فى الدنيا لنا حسنا   حتى أرى عند موتى حسن مختتمى

هى بديعية رصينة تقع فى مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً عارض فيها بديعية ابن حجة الحموى المسماة « تقديم أبى بكر » . ويلمس

(١) شذرات الذهب ٧ / ٢١٩
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١٣٠
(٣) الفريدة الجامعة (انظر ٣٠٠ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)
(٤) بديعية السيوطى ص ٢ س ٩



الجبابرة

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

أسد القناة اليوم ! مر   حى بالبطولة عن قريب !
أسد القناة ! وإنهـــا   سخرية القـدر العجيب
تتربصون بكل أعـ   زل مطمئن فى الدروب
تتشجعون على الطفو   لة وهى فى الحلم الرطيب
وعلى النســاء الهانئا   ت المحصنات عن الغريب
وعلى الشيوخ المرهقيـــن الوادعين مع الشيب !
هذى البطولة أين كا   نت فى الشدائد والخطوب ؟!
كنتم جبـــابرة الهرو   ب أمام جبار الحروب
كنتم نعـاجا سائميـــن أمام راعية غضوب
متنقلين من المدا   ئن ، للصحارى ، للسهوب
مستقبلين مع الشرو   ق هزيمة ، ومع الغروب
مستسلمين إلى الكهو   ف ليالى الشر المصيب
مستنجدين بكل مفـ   ـتول الذراع فتى صليب
ومحـــاربون مدرعيـ   ن وراء أحرار الشعوب !

• • •

أنسيتم عهـد الدمو   ع أمام محراب الصليب
وصياح ذلكم المجو   ز بكل ميثاق خلوب ؟
أنسيتم « دنكرك » ذا   ت الهول فى اليوم القطوب
ونسيتم الرعب الجســـم فوق ظلكم الكئيب
سابقتم الأمواج فيـ   ـها فى التقهقر والهروب
فى « طبرق » الحمراء كنـ   ـتم شر منهزم سليب
تتراجعون إلى الورا   ء على نشيدكم الحبيب :
« فى خطة مرسومة »   بأنامل البطل النجيب
وتركتمو فيهـا الجنو   د لكل منطلق مصيب
لولا الكتائب من شعو   ب الأرض خافقة القلوب
تتقـدم المتأخريــــن الى الخطوب بلا لغوب
ما كنتم إلا روا   ية : « كان فى الزمن القريب .. » !

• • •

قارئها صوراً من طريقته التحليلية . وأنت تحس كثيرا من إعجابه بنفسه حين تقرأ له شرح البيت الأول . قال : « وما أحسن التورية الواقعة فى التسمية حيث جعلت براعة العين فى استهلالها البكاء بالدم بدل الدمع مع إكثار ذكرها للعقيق وبكائها حتى غلبت الحمرة على الدمع مجانسة للعقيق -- ثم قال : وانظر بذوقك ما الفرق بينه وبين قول ابن حجة ... (٥)

وجاء بعد السيوطى جماعة كثيرون تأثروا بروحه التحليلية وأشربوا طريقته فعكفوا على التأليف وأحيوا صناعة التصنيف فى علوم البلاغة . فعائشة الباعونية (٩٢٣ هـ) وشيخ الاسلام زكريا الأنصارى (٩٢٧ هـ) وابن كمال باشا الحنفى (٩٤٠ هـ) يعدون جميعا فى نظر « المنهج العلمى » تلاميذ السيوطى — حكما — وإن لم يحظوا بالجلوس فى حلقته والحضور عليه . ولكنهم تأثروا بالأصداء العلمية التى تركها السيوطى فى عصره ولحناها فى شخصيته

وليس أدل على ذلك من أن عائشة الباعونية التى كانت معاصرة للسيوطى سافرت من دمشق إلى القاهرة لتغترف من بحار العلوم والمعارف حتى أجيزت بالافتاء والتدريس . (١) ووضعت على الطريقة التحليلية التى استنها أستاذها السيوطى بديعيتها التى تسمى « الباعونية » فى مائة وثلاثين بيتا سارت فيها على طريقة السيوطى . كما وضعت أخرى تسمى « الفتح المبين فى مدح الأمين » فى مائة وسبعة وأربعين بيتا ، منتهجة طريقة السيوطى فى الإكثار من البديعيات والعناية بتحليلها وشرحها . وهكذا كان السيوطى وتلاميذه يعنون فى بديعياتهم بالتكثر والمقارنة وضرب الشواهد والشرح لكل ما يذكرونه من فنون البديع .

البقية فى العدد القادم   حامد حفنى داود الجرجاوى

(٥) بديعية السيوطى ص ٢

حمر الوجوه المضرما ت من امتصاص دم الشعوب!
سود الصحائف ـ منذ كا ن لكم صحائف ـ من ذنوب!
كانت شكاوا كم تجو ب الأرض مشجية النحيب
صورتمو فيها العدو بكل تصوير معيب
والله يعلـم أن ما صورتمو دعوى كذوب
لم يخطف الألمان والـ طليان ساعات الجيوب..!
لطختمو شرف الجيو ش بكل ألوان العيوب !..

• • •

مهلا « أرسكين » المظيـ م ، وقائد الظلم الرهيب
النار بات أقل ما يهدى إلى البطل الطروب
المنتشى يوم الشهيـ ـد بكف رعديد نخيب
ومزلزل « الكفر » العتيـ ـد بجيشه اللجب الرهيب
المستبـ ـد بأمره فى غفلة الزمن الجديب
أنت المظفر فى السلا م رفلت فى الثوب القشيب !
لم ندر موضعك العظيـ م زمان كنتم فى الكروب
قل لى بربك ، والحديـ ـث يطيب فى المجد الحسيب :
من أى ميدان جمعـ ـت كتائب الجيش الوثوب
الهاجمين على الخضا ر، الساقطين على الحليب !
بدائم الأسد الهصو ر على شواربكم الخضيب
ذئبا يغير مع الظلا م على النيام أحط ذيب !

• • •

مهـلا « أرسكين » العظيـ م ، وما لفنك من ضريب
هذى الشجاعة نلتها من أى داهية أريب
ترغى وتزبد فى القنا ة كعاصف اليم الغضوب
قل للجنود الدارعيـ ـن الكاشفى زرق النيوب
يترقبون خطى الطريـ ـق ويجزعون من الدبيب
ويفاجئون الآمنيـ ـن بطعنة اللص المريب :
هلا انتقلتم بالعتا د الضخم فى وسط اللهيب!
هـلا دفعتم للحليـ فة بعض دينكم القريب !
ميدان « كوريا » فيه متسـ ـع لأبطال الحروب ! ...

حسن كامل الصيرفى

« قصة الحرية »

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

ــــــــــ

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور
فى انتفاض الغصون.. فى عاصف الريح ، فى فورة اللظى المسجور
رن لحن مخضب يتنزى . . فى جنون مستكبر . . مقهور . .
فى صدور الأمواج يطفر .. مشبوبا .. ويرتج كالصدى المذعور..

• • •

حملته الرياح للأفق الغاضب ، للبحر ، للذرى ، للنسور
فكأنى أحس دمدمة الماضى وصوت الأجيال تحت الصخور
تحطم القيد فى جنون وتمضى خافقات الجناح فوق الأثير
إنها قصة الحياة لشعب أبدى الخلود مثل الدهور . .
قصة الدمع والدم . قصة البعث والخلود
قصة الأمة التى حطمت صخرة القيود
طلع الفجر فارودها للربا واعزف النشيد

• • •

أنفس حرة . . تصفق للموت . . وتنهار فى اللظى المجتاح
وقلوب تدق . . فى موكب النصر . . وتحنو على الدم النضاح
حطمت هيكل الظلام . . وطارت . . مطلقات جناحها للصباح
حطمت قيدها العتى.. وهبت .. تنشر الهول فى الربى والبطاح
فإذا البحر مارج من دماء . . ظامئات إلى اللقاء المتاح
وعلى الأفق روضة من ورود ... قانيات ... ترف فوق الجراح
وكأن السحاب شب حريقا . . يتهاوى على عزيف الرياح
إنها قصة الكفاح لشعب ... باركته السماء يوم الكفاح
عاصف جن فارتمى فى شعاب الردى الكئيب
أشعل الحق روحه فتأبى على الخطوب
ومضى ينسج اللظى وانثنى يغزل اللهيب

• • •

... ومضى الركب ... والحتوف حواليه ... جحيم يطير فى أجوائه
وهتاف الأحرار فى مسمع الكون ... نشيد مخضب بدمائه

وطيف المنون يزحف فى الشاطئ ... ظمآن كالحريق التائه ...

...

وقف الدهر ضارعا لأمى طفل شهيد ملفع بنقائه
فى اللظى المشرئب ... عانقه الصبح ... فذابت أشواقه فى ضيائه
هجر الروض ... والمصافير ... والنهر ... وحلما يرف فى أحنائه
ومضى والنهار ... وهم بعينيه ... كطيف الغروب عند انطفائه

ظامئ القلب الحنى ... لأغاريده ... لعرسه
حن للزهر ... والربى ... فسقاه الردى بكأسه
أطلق الموت أسره ... وغدا يومه كأمسه

...

لست طفلا . . فأنت طيف جميل .. عبر الأفق عازفا أنغامه
لست طفلا .. فأنت روح نبي .. غادر الأرض .. حاملا آلامه
صفقت روحه الطروبة للموت ... وضجت أفراحه المستهامة
وبعينيه للصباح ... حنين ... كرفيف الأزاهر البسامة
وربيع الخلود فى قلبه الضاحك ... روض ... وجدول ... وغمامه
فى ظلال الغصون .. نامت لياليه .. وغطت أوراقها أيامه
صافح الشاطئ الحبيب .. وأغفى . . وعلى ثغره خيال ابتسامه
وغدا ... قصة الدموع سترويـ : للاله العظيم ... يوم القيامه

...

ومضى الركب طاويا ... شاطئ الدمع ... والنواح ...
بين قلب ممزق ... ذاب فى ثورة الرماح ...
ويد تحجب الردى ... ويد تغسل الجراح ...

...

عبر الشاطئ الجريح فرنت ... صدحات البلابل المحزونه
وتعلى النسيم فى مئزر الروض ... وهبت عطوره المفتوحه
واستطار النشيد ، كالتفت النهر ... وثارت أشواقه المجنونه
وانحنى فوق زهرة عانقته ... وتهاوت أوراقها مستكينه
إنها الزهرة الشهيدة تروى ... قصة الروض للضفاف الحزينه
نسجت عطرها الخفى جناحا ... أطلقته على ضباب السكينه

...

أيها النهر بين جنبيك قلب ... مستهام الرؤى يذيب أنينه
إنها الزهرة الشهيدة فانضح قلبها بالندى ... وأطفئ شجونه
ذاب فى عطرها الأسى ... مات فى روحها الأنين
عبرت شاطئ الردى ... بجناح ... من الظنون
هى رمز مقدس ... سوف يبقى على السنين

...

سمها ما تشاء لست أراها ... فى فنون الأسماء ... والأوصاف
هى معنى فى خاطرى للبطولات ... وللمجد ... والخلود الضافى
هى إن شئت ابنة النيل .. شبت .. فى الرياض العذراء فوق الضفاف
فى رفيف الضياء ... أنبتها الفجر ... على شاطئ الغدير الصافى
وسقاها النبع الإلهى ... خمرا ... من عبير الخمائل الرفاف
فسرى لحنها المطر ... روحا ... ذاب فى خفقة النسيم الشافى

...

زهرة النيل ... وابنة الشاطئين ... ونجوى الحمام المصفاف
وهبت عمرها ... لمجدك يا مصر ... لمجد الأجيال ... والأسلاف

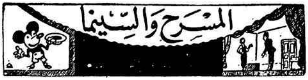
...

ودنا الفجر فاحتمى ... شبح الليل بالغصون
وسرت نفحة الربا ... تنشر العطر ... والفتون
ومضى الركب سابحا ... فى رؤى الشاطئ الحزين

...

أشرق الفجر بالضياء ... وطيف الليل يحبو على الضفاف الحبيبه
وتهادى النشيد ... فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى ... الرهيبه
عانق النهر ... والخمائل ... وهنا فتغنت به الروح القشيبه
ودنا موكب الصباح ... وهبت نسمات ... مرنحات ... رطيبه
بعد أن ذابت النفوس حنينا واستبدت بها الظنون المريبه
أيها الحائر الحموم ... صفق بجناحيك ... للدماء السكيبه ...
حان يوم الخلاص فابسط ذراعيك للأفق ... للسماء الرحيبه
إن هذى الدماء ... معبر شعب ... يسترد الحرية المغصوبه

محمد فوزى العنتيل



المسرح استثارة الواقع..
وليس الواقع..
الأستاذ زكي طليمات

إنه موضع نظر ، ما ذكره الأستاذ الدوياني وتفضل بالتعقيب عليه محبذا الأستاذ أنور المداوي ، وذلك بشأن مرسم من مراسم العرض التمثيلي ، وهو رفع الستار بعد هبوطه في نهاية كل فصل من فصول المسرحية ، إذ يقف الممثلون يحيون الجمهور المصفق ويردون تحية إعجابه بما يناسبها من إبداء علامات الشكر والامتنان ، هذا المرسم الذي وصفه كل من الأستاذين بأنه خروج على الواقع وأنه يعمل على هدم التجاوب الشعوري الذي يسود الممثل والمشاهد

حق أن هذا لموضع نظر ، بل إنها لمسألة شائكة يتجدد فيها القول ويطول ، كلما حلا لنا أن نغلو في مهمة المسرح من حيث النقلة التي ينتقل إليها الجمهور المشاهد بوساطته ، فنأبى إلا أن نطالب المسرح بأن يقدم لنا صورة من الواقع تتجسد في الاطار المادي للمسرحية وفي شخوصها

تقليد مسرحي سائر :

أما عن هذا المرسم ، وإن شئت فقل هذه الحالة الشكلية التي يتخذها ممثلو المسرحية استجابة لتصفيق الجمهور ، فأقول إنه لا حيلة للمسرح المصري في الأخذ بها ، لأنها وليدة تقليد مسرحي صاحب العرض التمثيلي منذ أن أقام الرومان — وليس الأغريق — ذلك الستار الذي يفصل بين المسرح ومكان النظارة ، والذي يهبط بانتهاء كل فصل من فصول المسرحية ، وقد ساير هذا التقليد العرض التمثيلي في جميع مراحل نموه وتطوره حتى اليوم

فإذا صح أن نطلق على هذا التقليد اسم (تقليعة) لنبوه من المعقول ، كما يذهب الأستاذ المداوي — والمعقول مسألة نسبية تتفاوت درجاته وتتباين مقاديره بتباين وجهات النظر إلى الشيء الواحد — إذا صح هذا لدى بعض النقاد الذين ينشدون الكمال المطلق ولا يبالون بتحميل الأشياء أكثر مما قدر لها أن تحمل ، وهذا جميل على كل حال لأنه وجهة نظر مثالية — فلن يجمل بنا — نحن رجال المسرح — أن نراه كذلك . لأننا أدرى الناس بأن المسرح ليس الواقع بحذافيره وإنما هو استثارة للواقع

أقول إن هذا التقليد ، جاء إلينا من الغرب ، إذ أننا في مسرحنا ... ولا سيما في هذه المرحلة ، مرحلة النقل والاستساغة واستخلاص الكيان الذاتي لمسرحنا الناشيء — مازلنا نتبع المسرح الغربي ، وخاصة المسرح اللاتيني . وما أظن أن الأستاذ المداوي ينكر أن هذا (التقليد) أو (التقليعة) يجري كل ليلة بأكثر مسارح العالم ، وفي دار الأوبرا الملكية حيث تقدم الفرق الغربية الكبرى أعيان المسرحيات في أبرع عرض تمثيلي

بيد أن واجب إنزال الأمور منازلها الصحيحة يقضي بأن نقرر أن هذا التقليد ، قد تختلف مظاهر تطبيقه تبعا للمزاج العام الذي عليه كل أمة ، وإن كان لا مفر من الأخذ به

فأكثر الفرق الانجليزية والالمانية والدانيمركية مثلا تباشر هذا التقليد على وجه آخر ... فبدلا من أن يحيي الممثلون الجمهور عقب كل فصل من فصول المسرحية ، يكتفي باتيان هذا الأمر مرة واحدة ، وذلك في نهاية المسرحية ، فترى جميع ممثلي الرواية كبيرهم وصغيرهم ، وقد انتظموا صفا واحدا ، يحيون الجمهور بما يتناسب وحرارة إعجابه وتأثره

هذا لدى الشعوب الشمالية وهي شعوب تتسم بالمستوى الذهني الرفيع ، وبالرزانة العاطفية وبالاعتدال في التعبير ... ولا أقول (بالبرود)

وإني أميل إلى الأخذ بهذا لأنه أجدر بالممثلين وأكرم للجمهور وأحفظ لرواء الفن وليس لأي سبب آخر مما يتصل بهدم الواقع أو سواه ، بل لقد أخذت به فعلا في النادر من المسرحيات التي قدمتها في أول عهدي بالاخراج المسرحي ، ولكنني لم أوفق إلى إرضاء الجمهور والممثلين ، فأقلعت عما أخذت به والأسباب معلومة معروفة ... ولا عجب .. فنحن شعب يستخفنا الطرب أيما استخفاف ، وتطير بلبنا الهزة لأننا فطرنا على الاستجابة السريعة المبادرة التي يبطنها طبع صاخب حاد

هذا ما يحضرني قوله في هذا التقليد ، وهو تقليد أراه يرتفع إلى مرتبة المرامم ، لأنه مستمد من طبيعة فن الممثل نفسه ومن مزاج الجمهور الشاهد

فالممثل ، وهو عراض ماهر لمختلف المشاعر الانسانية عن طريق المحاكاة ومحاولة الفناء في شخصية الدور الذي يؤديه يستهويه أن يرى أثر مايعرضه على الجمهور الجالس أمامه والشاخص اليه بكل جوارحه ، بل إن الممثل ليستهدي في أكثر مواقف دوره بهذا الأثر الذي يبديه الجمهور ليتابع أسلوبه في الأداء ، أوليبدل فيه أو ليطارق أسلوبا آخر

والجمهور بدوره ، وقد حضر التمثيل ، مغرى بأن يستجيب إلى الأثر ينسجه الممثلون عليه ، مدفوع إلى أن يبدي إعجابه وعجبه بمن يرى ، فكأننا والحالة هذه أمام استجابة حارة متبادلة بين الممثلين والنظارة ، فلا حيلة — والأمر ههنا وههنا ماقررنا — أن نغير من طبيعة الممثل والجمهور . وإن صح لنا أن نضع لهذا وذاك معالم وحدودا بحيث لا يجفوها منطق العرض التمثيلي ولا (معقوليته) المرنة السمحة . وقد وضع الأقدمون من فقهاء المسرح هذه المعالم والحدود ، فجاء هذا التقليد الذي أسلفنا ذكره وأوضحنا مظاهره المختلفة لدى (اللاتينيين) ولدى أهل الشمال

وإنه ليطيب لي بعد هذا أن أسأل الأستاذ المداوى ، وأن أسأله مخلصا — لأنني أحب دائما أن أتعلم — أسأله ماالذي يقترحه في هذا الصدد . هذا مع اعترافي بأنني لم أر ولم أسمع ان هناك تقليدا مسرحيا يقضي بأن لا يرفع الستار عقب انتهاء أحد فصول المسرحية أو في نهاية فصولها ليستجيب فيه الممثلون إلى تصفيق الجمهور وهتافه فيظهرون أمامه وقد محوا عنهم مسوح الأدوار التي كانوا يتقمصونها وأخذوا يردون التحية بما يناسبها

المسرح استثارة الواقع :

قلت إنه يحلو لنا أحيانا أن نرى فيما يقدمه المسرح أحياء كاملة من الواقع ... ولا سيما في مصر ، وذلك لأن العرض التمثيلي فيها ، جاءها في العقد الثامن من القرن الماضي ، متأثرا بالمدرسة الرومانسية وهي واقعية التاريخ ، وهي أيضا غلبة العاطفة على العقل ، وهي المدرسة التي كانت تسود عالم الأدب والفن في فرنسا . ثم تلا ذلك تأثير المدرسة الواقعية التي اشتط أصحابها في مهمة المسرح فحاولوا أن يجعلوا منه (قطعة من الحياة) ، ولكن هذه وتلك ، مدرستان لم يبق لهما في الأدب والفن كبير أثر ، ولا سيما بعد أن أخذت مكانها اتجاهات أدبية وفنية جديدة

هل المسرح هو الواقع ؟ هل المسرح هو الحياة ؟ ولكن أي واقع وأية حياة ؟ ومتى كان الفن لهذا قادرا ومقدرا ! هذا مالا يعلمه أكثر الجمهور ، ولكن الذي أعلمه أن النقد المسرحي في مصر يجري حسابه تبعا لهذا الشعار ... ومن هنا يأتي نقد الأستاذ الدوياتي ، وهو نقد يتلخص في أن رفع الستار مرة أخرى بعد اسداله عقب انتهاء كل فصل يؤدي إلى (اللاانفعالية الفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج في اللحظة التي أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج)

فالأستاذ الدوياتي قد اقتعد مكانه في الصالة وهو موقن بأنه سيرى الحياة منقولة فوق المسرح نقلا كاملا ، فإذا تأثر بما يرى فلا يصح أن يقطع عليه تأثره تصفيق من الجمهور ولا ستار يرفع بعد أن يسدل ليظهر الممثلون بمعزلك يحيون الجمهور . فإذا وقع هذا جاءت نقلته منغصة عليه مزاجه ... وكان له أن يحتج ، وفي الحق أنه غير ملوم في شعوره هذا

غير أنني أعتقد أنه كان يرى هذا شيئا عاديا لو أنه اتخذ مكانه في الصالة وهو موقن أنه سيشاهد (تمثيلا) أي مظهرا من مظاهر فن التمثيل ، وعرف أن فن التمثيل ، وشأنه شأن سائر الفنون ، لا يقدم (الطبيعة) وإنما يقدم مظاهر (الوجود) ، وأن كل فن جميل يتخذ من الحياة ركازا ، ولكنه لا يعطي حقيقة الحياة كما هي ... وأن الفن إذا أحيا الواقع على المسرح ، فإنما يكون هذا بطريق الاستثارة لا النقل ، ولو أراد الفنان أن ينسخ الواقع نسخا دقيقا لأعجزته الوسائل . وإذا افترضنا أن واتته تلك الوسائل فإن نتاجه يكون غير رفيع لأن كل عمل فني إنما يقوم على التركيز (synthèse) والتركيز ليس من الواقع ، وكل عمل فني يخضع لقيم ومعايير ، إن استلهمت من الطبيعة فإنها ليست الطبيعة منقولة منسوخة بعينها . ومما لا شك فيه أن العمل الفني لو جاء صورة فوتغرافية من الواقع ، لزهد الناس في مطالعته ، ولاستغنوا عنه بالواقع المبذول أمامهم

وواقعية المسرح ، وهي مناط القول في هذا ، خاضعة بدورها لما تقدم ذكره ، ويزيد عليها أن إمكانيات المسرح في نقل الواقع قاصرة محدودة ، فالمسرح مناظره من القماش أو

الورق المصور، وهذا غير الواقع، وهذا غير حقيقة الأشياء كما هي في الحياة

ويمثل دور (هملت) قد يكون مصريا أو انجليزيا ، ويلعب دوره باللغة التي يتكلمها ، هـذا في حين أن (هملت) دانمركي المولد والنشأة ولا يتكلم غير اللغة الدانمركية

وفوق هذا ، فإن المسرحية نفسها لا يتتابع فيها الحوار ولا ينعقد كما يتتابع في الحياة ، إذ ليس من الحياة الواقعية أن تنتظم مشاهد الرواية كما أوردها مؤلفها بعد أن أخذ بالتركيز والإجمال ، والتقديم والتأخير ، والحذف والإثبات ، ابتغاء الوصول إلى هدفه في الحدود التي ترسمها شروط فن كتابة المسرحية

وعليه يمكننا أن نقرر أن كل ما فوق المسرح إنما هو مظاهر لعناصر مستلهمة من الحياة والواقع تشابكت لإحياء صورة من الوجود (exsitauce) وتعاونت لاستثارة الواقع وليس لنقله ونسخه ، وهي في كل هـذا تفسح تأثيرها علينا بطريق التمويه أو الإيهام (illusion)

والتمويه يشعرك بوجود الشيء ولكن بطريق عرض مظاهر وجوده ، وليس بعرضه على حقيقته وواقعيته في الحياة

وما دمنا أمام المسرح ، نعيش في عالم الاستثارة والتمويه ، فلن يعمل ارتفاع الستار بعد سدله في نهاية كل فصل من فصول الرواية وظهور الممثلين يحيون المشاهدين ، لن يعمل هذا على قطع التعاطف والاندماج بيننا وبين الممثلين ، لأن هذا وذاك قائم فينا منذ بداية الرواية

ولو صح هذا في المسرح ، وأردنا تطبيقه على فن التصوير ، لكان علينا أن نعلق اللوحات المصورة في الهواء وبلا إطار ، بدعوى أن رؤية الحائط الذي علقت عليه الصورة ، وأن مطالعة الإطار الخشبي الذي يحوطها ، يقطعان علينا تيار الانفعال الذي يكون قد سرى فينا ، إذا اندمجنا بكليتنا فيما أجرته ريشة المصور

وأعود إلى المسرح فأتساءل من الذي جعل الستار يرتفع بعد هبوطه ودفع بالممثلين إلى مقدمة المسرح يحيون الجمهور ؟

أليس هو الجمهور نفسه وقد أخذ يصفق ويهتف مطالبا برؤيتهم ؟ ولماذا فعل هذا ؟

فعل هـذا لأن الممثلين استطاعوا أن يموهوا عليه بتسجيل مظاهر الحياة والوجود للشخصيات التي يلعبونها ، لأنهم قدروا أن يؤثروا فيه بأدائهم المتقن ، فأعجب بمقدرتهم بعد أن سرت إليه الهزة التي أحسوها وهم متقمصون شخصيات أدوارهم . فعل هذا لأنه ، على تأثره بما رأى ، يعلم أنه يشاهد تمثيلا ، لا واقع حياة ، وإلا لما ألهب يديه بالتصفيق ، لأننا في الحياة الواقعية لا نصفق لما ننفعل به

ويسعدني أن أزيد على ما تقدم ، أن المسرح في تطوره الأخير ، ولا سيما بعد أن قامت السينما تنازعه البقاء وتم لها الفوز في أن تنقل الحياة نقلا فوتغرافيا في أشرطتها ، أصبح المسرح يلوذ بمصادره الأولى القائمة على الرمز والإيحاء والتركيز البالغ فيه ، ثم إشعار الشاهد بأن ما يشاهده إنما هو مسرح وليس (الواقع) حتى ينفرد المسرح بطابع لا يستطيع أن ينتزعه منه الفن السينمائي

ففي روسيا — ومنها تأتي أحدث الاتجاهات في الإخراج المسرحي — نجد أعيان المخرجين أمثال (تايروف) و (فاجتنجوف) يمعدون إلى وسائل جديدة في سبيل هذا وإلى القارئ صورة من العرض التمثيلي في (المسرح الأكاديمي بموسكو) وهو المسرح الرسمي

المسرح عار من الستار ... أي الستار الذي في المقدمة كما هو الحال عندنا ، والظلام يغمر هذا المسرح بحيث لا يرى الشاهد شيئا مما يحتويه ، فإذا جاء ميعاد التمثيل أضيء المسرح تدريجيا فإذا بنا نرى عمال المسرح يقيمون المنظر ، وينظمون الأثاث الخ ، فإذا انتهوا ، ظهر جميع ممثلي الرواية وهم ينظمون ثيابهم ويثبتون شعورهم المستعارة ، وقد يوجهون إلى الجمهور حديثا عن الرواية ، ثم يسود الظلام المسرح مرة ثانية ، وبمعاودة إضاءته يبدأ تمثيل الرواية

قد تعجب من هـذا لأننا أرقاء الواقع ، إذ خفيت عنا مصادر العرض التمثيلي في مراحله السابقة ، قبل أن تأتي هـذه المدرسة الواقعية التي أصبحت الآن لا تحكم بمؤثراتها القاصرة إلا في البلاد التي عرفت التمثيل في أواخر القرن الماضي

وبعد ، فأرجو أن أكون وفقت بعض الشيء في أن أجلت ما يحتاج الاسهاب فيه إلى مقالات طويلة

وشكري مزدوج للأستاذ المداوي إذ أتاح لي فرصة الحديث في هذا ، وإذ خصني بشارة من ثقته التي سأعتز بها دائما . وارجو أن يكون للمسرح المصري نصيب من قلمه المنصف ومن لفتاته البارعة

زكي طليمات

المسرح المصرى

فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للاستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا : أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح . وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأ المؤاخذ نفسه من نسج خياله !

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من « الرسالة » أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى « مسمار جحا » و « دنشواى الحديثة » فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرمانى به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فسأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على ، وللأستاذ الفاضل أن يرعى منه فى كلأ مباح !

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشاً به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية ، وفى مدى قيام مذهب « الفن للفن » l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم ، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز :

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب « الفن للفن » ما زال موجودا فى الحياة ، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب « الفن للحياة » ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب « الفن للفن » بانقضاء القرن التاسع عشر ، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن « الخالص » مرادف تماما للفن « الفارغ » ! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها ، وانتهى تماما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية ، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار ! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته المادية النابضة بالحياة . ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل؟ أين هم ؟ وما آثارهم تلك ؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحدا فردا له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين ! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير ، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة ، بل إنه لا علاقة لهما بتاتا بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والموضوع : فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة ، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل ما فى الحياة من نقص وظلم وفساد ، وأن عليهم تقع — أول ما تقع — تبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا ؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عداوة لها ؟ ولماذا يرميها بأنها « نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية الأوروبية بتأثير الحرب الكبرى الماضية » ... وهى ليست من

كل ذلك فى شئ ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بمناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه عليها وقلبه معها ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية العريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والضعف ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسعى جاهدا لتكون الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يسعدون بالعيش فيه . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجـودية » شذوذا وانحرافا كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم ؟

وإن شرح ما فى هـذا المذهب من المزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلمتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من «الرسالة» لعدل من رأيه كثيرا ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « السوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريبا ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط همم الرجال عن القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوما إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلا قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أننى كنت ذا هوى لـكان هواى مع هذه الفرقة لا عليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضوا فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يسمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليعلم الأستاذ الجليل أنى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم، ولست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتبا لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أقطع فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو المـاضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من المريخ » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه :—

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة الفتوية من فوق منبر « الرسالة » ونعنى بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بواكير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس إشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولـكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لـكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور ، وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لـكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى نكران الذات، فما رأينا واحدا منهم حاول فى موقف له أن يسطع على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجدا يراه حقا له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما تلقوه من ثقافة ومعرفة حرمها الـكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية النـدم أو الذباب لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـــذا الـكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بي ويتمزني غمزة يحسبها تنال مني إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لي كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول في الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولـكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الـكلام الذي قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أني أمقت أن أتحدث عن نفسي لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التي كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما، ولـكن هذا انحدار بقدري لا أرضاه لنفسي

ويزيد الأستاذ فيأخذ على أنني لم أحاسب الفرقة الأخرى التي لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعني بها فرقة الأستاذ يوسف وهبي . وهذا كلام له خبيء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أنني لا تربطني بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشيء في سبيل خدمة العقيدة الوطنية لـكان حسابنا لها عسيرا، ولـكنها لم تفعل ، وليس في وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها في ذلك مقصرة مسرفة في التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذي يدق في قلب كل مصري فجاءت كل مسرحية منهما تعكس في مشاهدها صورا ورؤى مما يمر رؤوسنا في هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » ولست أعيد هنا ما قلته في كلمتي الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما عن هذه المعاني؛ ولـكني أزيد فأقرر بأنني عندما أعلنت رأيي هـــذا للصديق الـكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لي أنه لم يؤلف مسرحيته في هذه الأيام ولـكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدي الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجري في مصر على هذا النحو الذي جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيي هذا في رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدي الفرقة في هذا الوقت الذي يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يمر رءوسنا في هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرني مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولـكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب اليه الأستاذ الجليل زكي طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجمله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لي الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعاني لشهودها في « اللوج » الخاص به في أول ليلة قدمت فيها ، قال لي على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لتراني في أسوأ حالاتي ! فهل كنت متجنيا ظالما في هذا الرأي الهادىء الذي أعلنته عن المسرحيتين في لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدي الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تـكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك في كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضــــه صديقنـــا الأستاذ عبـد الفتـاح البارودي ، ولـكن الأستاذ الجليل زكي طليمات يرميني بأنني أعتسف النقد اعتسافا وذلك في الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح مايقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذي يعرف الناس أنه له

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا في المعنى الذي قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعني بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعني دنشواي الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافي » كما وصفها بحق صديقنا البارودي

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى في بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيـــدا وللاستاذ عذره في هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح

رسالة النقد

في ميزان النقد:

أرض الخطايا

تأليف الاستاذ أمين يوسف غراب

للأستاذ ثروت أباظة

هى مجموعة أقاصيص للقصاص الفنان الأستاذ أمين يوسف غراب. والأستاذ أمين عريق فى فن الأقصوصة خبير بأهدافها ذو قلم قوى ... قادر دائما على أن يظهر الملامح الرئيسية التى يريد لها الأستاذ أن تظهر. وتمتاز المجموعة أن أغلب أقاصيصها تهدف كل منها إلى فكرة اجتماعية معينة ، والقصاص ذو الفكرة الاجتماعية جرىء ، والقصاص الذى يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته دون أن يعلن هذا الهدف بالتصريح بل هو يعلنه بالقصة نفسها وبحوادثها وبالحوار فيها، هذا القصاص قدير ... والأستاذ أمين صاحب فكرة اجتماعية، والأستاذ أمين يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته حيث يديرها غير مقيم من نفسه خطيبا اجتماعيا هو قصاص ذو فكرة إذن .

لن أستطيع أن ألم بأقاصيصه جميعا فهى كثيرة لا تستطيع هذه الكلمات الإحاطة بها ، ولكننى سأتناول بعضا من الاقاصيص الهادفة إلى فكرة . وقبل هذا التناول لا بد لى أن اذكر أن الأستاذ أمين من الذين يضعون القدر فوق كل شىء ، ويلقون اليه بكل مسئولية ؛ وهو بعدهذا يهاجمه أشدهجوم . ولقد ساق لنا من الأقاصيص ما يجعلنا نجزع من هول ما يصنع هذا القدر . فلقد قتل الأستاذ أمين أمامنا أرواحا بريئة، نعلم براءتها . وقتل دون أن يهدف بقتلها إلى فكرة إجتماعية ، إلا أن القدر غلاب . وأعتقد أن الإصرار على هذا يقعد بنا قعودا كاملا عن محاولة الاصلاح ، فماذا بيدنا نحن المخلوقات الضعيفة أمام القدر الباطش السفاك ؟ ما الاصلاح الذى يريده الأستاذ أمين بأقصوصته «الدم الأبيض» مثلا ... وما الإصلاح الذى يريده « براعى الغنم »؟ أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه كلها هادفة إلى غرض إجتماعى معين ، ولكننى أطلب اليه وأصر أن لا يعرض علينا هذه الصور الموغلة فى السواد ، فالقصاص على أتم حرية أن لا يهدف إلى إصلاح إجتماعى ، ولكنه لا يملك مطلقا الحرية فى أن يلقى على أيامنا السواد . وليس على شىء من الحرية فى أن يهتف بنا كلما رام أحدنا إصلاحا : أن قفوا فالقدر من ورائكم هادم ما تريدون إقامته ، مذل منكم الأعناق . أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه ذات هدف اجتماعى اصلاحى ولكننى أطلب اليه ألا يذكرنا بهذا القدر فتقعد همة تحاول أن تهب ، وتخور عزيمة توشك أن تثب

وللأستاذ أمين أقاصيص بلغت من الكمال مكانا وهى مع ذلك لم تهدف إلى إصلاح إلا أن تطمئن النفس العاملة أن لها أجرها ، وإلا أن تبشر من بلاه الله بتشويه فى خلقته ، أن جمال الروح أثمن من جمال الوجه كما فى أقصوصة « حكمة القدر » التى لا بد لقارئها حينما ينتهى منها أن يشعر بأن القدر الغاشم الصلب قد يكون رءوفا كريما . . هى أقصوصة قدرية ولكنها لا تشوه أمامنا القدر ولا تقعد بذى الهمة ولا تخير صاحب العزيمة :

ياسيدى الأستاذ الجليل :

أرجو أن أخلص من هذه الكلمة وقد استقر لديك أننى لا أنطوى إلا على الحب لك ، وأننى أسلب عودا من أن أستتر وأستخفى وأهرب من تبعة ما أقول ، وأننى لست من هؤلاء الذين يستذلهم الغرض فيكتبون بيمين وينظرون باليمين الأخرى إلى بريقه الوهاج .

والسلام عليك ورحمة الله .

على متولى صلاح

لا بد لى بعد هذا أن أتناول بعضا من تلك الأقاصيص التى هدف فيها الأستاذ أمين إلى فكرة معينة . وإنى لأشايعه فى بعض من هذه الأفكار وأعارضه فى بعض منها آخر ؛ ولكننى عجبت من أربعة مواضع تعارض فيها مع نفسه تعارضا واضحا ؛ فهو فى أقصوصة « وقار التنور » يذكر مقدار الحاجة الملحة للمال وكيف دفعت هذه الحاجة الخباز حارس الفرن أن يلتهم ديكا كان يعد لأحد الباشوات ثم حرق نفسه بعد أكلته . . هو فى هذه الأقصوصة جعل الرجل يدفع حياته كلها فى سبيل أكلة . . الفكرة غريبة بعض الشيء لأن الجوع كان من نفسه سيؤدى بالرجل إلى الموت ، كما أننى أعتقد أن سرقة ديك لا يعاقب عليها بالإعدام الذى حكم به الرجل على نفسه . على أية حال كان الرجل معدما فى أشد الحاجة إلى المال ليأكل ، فسرق وأكل وانتحر . . فى هذه الأقصوصة أظهر لنا عظمة المال وجبروته . ولكنه فى قصة أخرى هى « آفة السعادة » جعل آفة السعادة هى المال نفسه . والحياة بين اثنتين ، إما وجود المال أو عدمه ، فإن كان وجوده تعاسة وإعدامه موتا ، فماذا يرى الأستاذ ؟

أما الموضعان الآخران فهما أشد غرابة فى تعارضهما؛ فهو فى أغلب أقاصيصه كان يهدف — كما قلت — إلى فكرة اجتماعية جليلة، ومعنى هذا أنه يرى أن الفن أداة للاصلاح الاجتماعى ؛ بل هو يذهب إلى أبعد من هذا فيعمل بفنه فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ولا يمكن أن يكون مصلحا اجتماعيا إلا إذا كان إنسانا يأكل ويشرب ويتزوج . . هو إذن من أنصار النظرية السائدة اليوم أن الفن للمجتمع وليس للفن ، وأن الفنان من المجتمع وإلى المجتمع، ولكننا بعد هذا نراه فى أقصوصة « ثورة الآلهة » وهى أقصوصة رمزية عن فنانة إنسانة . نرى الأستاذ يوسف يحرمها الزواج ويرفعها إلى مصاف الآلهة ، ويريدها فنانة للفن ، وللفن فقط ممثلا فى المجتمع . وهكذا التوت القصة على نفسها فهى إن كانت تعيش للمجتمع فلا بد أن تحس به لتنقل ؛ وإن كانت تعيش للفن فلا بد أن تنقطع عن المجتمع وتستلهم الوحى وحده — إن وجد — وهكذا أيضا تتعارض الأقصوصة مع روح الأستاذ أمين

وقد يقول الأستاذ أمين إنه قصاص ينقل ولا شأن له بالمجتمع وهذا الكلام معقول لولم تتجه أغلب أقاصيصه إلى ناحية اجتماعية معينة . وهذا القول بطبيعة الحال لا ينطبق مطلقا على الأقصوصة الرمزية ، لأن القصة الرمزية فى أصلها فكرة مجردة فى ذهن القصاص ، وأراد أن يعبر عنها بقصة فهو رمز ، وهى بخلاف الأقصوصة الواقعية التى هى فى الأصل صورة من الحياة تنقل نقلا ، أو صورة ترسم رسما للتشابه صور الحياة

وبعد فالمجموعة تضم أقاصيص بلغت غاية الروعة . ولا ينقص المجموعة هذه المآخذ الهينة التى أحاول أن آخذها على الأستاذ أمين غراب ، فأقصوصة « الذباح الحكيم » و « مائة دجاجة وديك » و « الفناجين الحمر » وغيرها ، كلها أقاصيص تؤكد أن الاسم الذى يتمتع به الأستاذ أمين يوسف غراب إنما يدل على أن صاحبه يستحقه ، ويستحق معه كل إكبار وتجلة

ثروت أباظة

البريد الأدبي

لغويات :

كثيرا ما يجرى عن الأقلام ، ويتردد على الألسن ، ويقع فى الأسماع والأبصار كلمات لا تنهج نهج أصول اللغة ، ويلهج بها اللاهجون ، وينقلها الخلف عن السلف فى غير ما تحقيق وهو منهم قاب قوسين أو أدنى :

١ — قيد :

جاء فى كتاب (نشوء اللغة العربية) تأليف الأب أنستاس مارى الكرملى ص ٢ قوله « وممن قال به ولم يحد عنه (قيد) شمرة » بالفتح وصوابه الكسر تقول (قيد) شمرة — بالكسر — أى قدر شمرة ، كما تقول « غلوة رمح (أى مقدار رمح ، وهى كلها من ألفاظ القياس المكانى . وأما « القيد » بالفتح فبمعنى « رهن » . قال الشاعر . (.. قيد الأوابد هيكل) وهى أيضا واحد القيود من تقييد الدابة أى عقلها ؛ وفى الحديث « اعقلها وتوكل »

٢ — جف الماء :

تعبير خاطىء يقع فيه فطاحل الكتاب ولا يلتفتون إلى موضع الخطأ فيه ؛ يقال « جف العود أو الغصن » أى صار من الليونة والمرونة إلى الخشونة والصلابة والجفاف . واستعمال « جف الماء » بمعنى نشف أو تبخر وزال بلله استعمال خاطىء لا تسمح به اللغة ، وإنما يجوز أن يفهم على معنى صيرورته من المائية إلى الصلابة بصورة « جليد » لأن هذا الأخير هو الماء جف — أى صلب — فصار جليدا متماسكا

والصواب فى استعمال « الجفاف » أن يقال (جف الثوب أو الإناء) أى ذهبت نداوته وأثر الماء فيه . ويقال (جف النهر) إذا زال عن قاعه وجانبيه البلل و(غاض) فيه الماء أى نقص أو زال

٣ — قناة وقنال :

هذان اللفظان يستعمل كل فى معناه المقصود منه ، فأحيانا يقولون ويكتبون (قناة السويس) وأحيانا أخرى (قنال السويس) [١] . والأصوب لفة (قنال) باللام وهى لام التعريف فى المضاف إليه فى قولهم (قنا البحر أو قنا الماء) أى مجراه ، ومن لفظ المضاف ولام المضاف إليه نحتت لفظة (قنال)

أما « القناة » فقد تستعمل بمعنى القنال وإن كانت هذه أصح منها . وهى بمعنى الغصن أو الرمح . قال المتنبى وما أصدق ما قال:

وإذا أنبت الزمان قناة   ركب المرء فى القناة سنانا

٤ — الغث والسمين :

هذان اللفظان توأمان إذا قيل الأول تبعه الثانى فى أغلب الأحيان كأنه له الظل . والغث لغة الردىء والمهزول وضده السمين من السمن وهو الاكتناز الحقيقى والتطبيق شحما .. ويخطىء المخطئون فيقولون (الغث والثمين) بالثاء فى الثانية ، وهذا قد يصح استعماله على وجه ويجوز ، ولكن الاستعمال الأول « السمين » بالسين أصح وأصوب لرجحان الضدية والتوأمية فيه وهو المستعمل من قديم

قال تعالى فى كتابه العزيز «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين» وهو ضد الغث وهو المهزول الضاوى

وقال الشاعر العربى :

فإما أن تكون أخى بحق   فأعرف منك غثي من سميني

أى الردىء من الحسن ..

٥ — نفد ونفذ :

يخطىء الكبير والصغير فى استعمال هذين اللفظين ويخلطون بينهما الخلط الذريع وتشاركهم المطبعة العربية — تصحيفا — فى هذا الخلط . فالفعل بالمهملة بمعنى انتهى وفنى . قال تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

(١) شد الله أزر إخوان الفداء ورحم الله الشهداء .



البائعة الصغيرة

للكاتب الدانمركي هانز أندرسون

كان البرد يشتد ، والثلج ينهمل ، والظلام يحلولك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد . وكانت تضرب في بهمة الليل وصبارة القر فتاة حاسرة الرأس عارية القدمين : كانت تنتعل خفين عندما غادرت منزلها ، ولكنهما كانتا واسعتين فقد كانتا قبل لأمها . وبينا هي تعبر الطريق أمام عربتين مسرعتين أضاعت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثرا ، وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجرى . فراحت الطفلة تجوب الطرقات وقد تعرت قدماها ، واحمرتا من برد وازرقتا . وكانت تحمل في جيب ثوبها العتيق حزما من الثقاب ، وفي يسراها حزما ، وقد أدبر النهار وما باعت منها شيئا ، ولا حصلت ليومها فلسا

كانت تقضقض من البرد وترتعد من الجوع ، وتسير متحاملة على نفسها تجر قدميها جرا ... كانت صورة من التعاسة تلك الفتاة المسكينة ! وقد تغطى بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتدلت منه خصلات ناست على جيدها الأبيض الناصع . ولكن تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك ؛ فقد كان النور يشع من النوافذ ، ورائحة الأوز المشوى تفوح في الفضاء مؤذنة بميلاد

يعد هانز كرستيان عميد الأدب الدانمركي بغير منازع . وقد ذهب صيته فيما وراء وطنه . واشتهر بين كتاب الغرب قصصيا له مذهب خاص في القصة . وكثير من النقاد يحذف « الخرافة » من القصة . إلا ما كتب أندرسون ، وقليلون غيره ، في هذا الباب . « والبائعة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأديب .

كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . وقال الشاعر :

أرى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد

ومنه قولهم « فلان خصم منافد » وهو الذي يستفرغ جهده في الخصومة واللدد . وفي الحديث « إن نافدتهم نافدوك(٢) »

أما الفعل بالمعجمة فبمعنى شق « لج من هنا ليخرج من هناك كقولهم « نفذ السهم من الرمية » . قال تعالى « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »

وقال الشاعر العربي :

حتى استكانوا وهم مني على مضض ... والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر

وكذلك يخلط الكتاب بين (الشذر والشزر) وبين (النذر والنزر) وبين كل متشابهين متجانسين يجوز فيهما التصحيف ولا أقول التحريف

وبعد : فتلكم هنوات لغوية عرضت لها عابرا رغبة في التذكير — والتعريفي — وذكر فإن الذكرى تنفع اللغويين كما تنفع المؤمنين وهم مؤمنون . والسلام

(الزيتون) عدنان

(٢) وتروى أيضا بالقاف .

سهو

نحن طلبة الأرتريين نأسف كل الأسف لعدم ذكر إرتريا المسلمة في المقال المنشور بعنوان « الكتلة الاسلامية والسلام العالمي » بقلم الأستاذ القدير أبو الفتوح عطيفة في العدد الخاص بمناسبة العام الجديد لمجلة الرسالة الغراء

كيف ينسى هذا القطر المسلم الذي يتطلع إلى الحرية والاستقلال ، لقد أرسل مندوبين عنه ليمثلاه في المؤتمر الاسلامي في إحدى جلساته بكراتشي

فالرجاء منكم إخطار الأستاذ بذلك مشكورين

عن الطلبة الأرتريين

عبد الله خيار

عام جديد . فانتبذت ركنا منزويا جثت على ركبتيها ، وتقبضت في مكانها ، والبرد يسرى فى أعضائها قارسا لذاعا . ولكنها لم تكن لتجرؤ على الذهاب إلى منزلها ، وما باعت من ثقابها شيئا ، فعصا الأب تترقب ، وسقف البيت مهدم خاو تعبث به الريح ، ويصفر فيه الهواء

كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر فى عود من الثقاب تأخذه من الحزمة ، فتشعله فى الحائط ، فتدفئ يديها على لهبه وما تمالكت أن فعلت فأضاء العود بلهب ساطع كنور الشمعة ، فخيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذى ألوان ، له قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجمل النار تبعث الدفء فى الأطراف، والطمأنينة فى النفس ! ولكن اللهب الضئيل لم يلبث إلا قليلا حتى خبا ، فتبخر فى الهوى موقدها النحاسى اللامع ، ولم يبق بيدها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت عودا ثانيا ، فالتهب فوقع نوره على الحائط ، فصيره كقناع شف استطاعت أن ترى الحجرة من خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت عليه آنية العشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح منها بخار له نكهة وطيب ، ويملأ جوفها تفاح وبرقوق مجفف . ثم يالِلعجب! لقد قفزت الأوزة من الطبق وتهادت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفى صدرها شوكة وسكين ! ثم انطفأ العود فلم تبصر الفتاة إلا حائطا رطبا سميكا باردا ، فأشعلت عودا ثالثا فإذا هى جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد الميلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتنمر بنورها صورا ملونة جذابة كتلك التى كانت تراها فى المكتبات ، فدت الفتاة يديها نحوها فانطفأ العود ، وارتفعت أنوار عيد العـــام ، فرأتها الفتاة نجوما فى السماء ، سقط أحدهـا فرسم خطا طويلا من النـار ، ففكرت الفتـاة الصغيرة : الآن يموت أحد . فكذلك علمتها جدتها العجوز التى درجت إلى القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت الفتاة عودا رابعا ، فسطع النور مرة أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نورا وحنانا . فصاحت الطفلة : « جدتاه ، خذينى معك ، سوف تذهبين إذا ما خبا نور الثقاب ، وتزول طيفك الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة، والأوزة الشهية ، وشجرة عيد الميلاد » ، وأقبلت على الثقاب تشعله كيلا تذهب جدتها ، فتلتهب بنور أسطع من الشمس وضحاها ، وتتمثل لها جدتها أبهى مما كانت وأجل . ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ، وطارت بها فى عالم من البهاء والسرور ، وحلقت بها فى السموات العلى ، وحملتها من الأرض حيث لا برد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس فى ركنها ، مستندة إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت شفتاها عن ابتسامة سعيدة . هناك كانت ترقد أيبسها القر ، وقد احترقت علبة من ثقابها ، فقال الناس : « لقد أرادت أن تدفىء نفسها » وما علم الناس أى جمال رأت ، ولا بأى احتفال حملت إلى السماء ليلة العيد ...

ش . ع

مطبعة الرسالة